أُمَّةٌ فِي رَجُل

لمحات من حياة الإمام

مُقْبِلِ بن هَادِي الوَادِعِيّ رحمه الله

أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي



تقديم فضيلة الشيخ
محمد بن عبد الله الإمام

دار الإيمان
إسكندرية

أمة في رجل... لمحات من

حياة الإمام الوادعي

تأليف

أبو عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي
عفا الله عنه

تقديم فضيلة الشيخ

أبي نصر محمد بن عبد الله الإمام

دار القمة
فاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٢٢٢٠٠٢

دار الإيمان
إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم

فَضِيلَة الشَّيخُ

أَبي نَصر محمَّد بن عبد الله الإِمَام

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصَحْبِهِ،

أَمَّا بَعْدُ:

فقد قرأتُ رسالةَ الأخِ الفاضل / فيصَل بن عبده قائد الحاشديِّ، والتي بعنوان «**أُمَّةٌ فِي رَجُلٍ**»، اقتطفها من مآثرَ كثيرةً من مآثرِ شيخنا العلَّامةِ الوادعيِّ، ومآثرُ شَيْخِنَا قد أودعها غيرُ واحدٍ ممَّن خصَّ حياة الشيخ بالكتابة والتأليف، نفع الله بهذه الرسالة.

وأخونا فيصلٌ أعطاه الله إقبالًا طيِّبًا على البحث والتأليف، فسبحانه المُوَفِّق لمن يشاء من عباده، وفق الله الجميع لما يحبُّ ويرضاه.

وكتبه / **أَبُو نَصْرٍ**

محمَّد بن عبد الله الإِمَام

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

أَمَّا بَعْدُ:

فهذه رسالة بعنوان: «**أُمَّةٌ فِي رَجُلٍ**»، أُهديها لكُلِّ محبٍّ للحديثِ وأَهْلِهِ، وعلماءُ الحديثِ للهِ دَرُّهمْ، أخلاقُهم أخلاقُ النُّبُوَّةِ، فما من سُنَّةٍ قَوْلِيَّةٍ، أو فعليَّةٍ، أو خُلُقِيَّةٍ إِلَّا وهي ماثلةٌ فيهم.

عَهْدِي بِهِمْ تستنيرُ الأرضُ إنْ نزلوا ○●○ فيهـا، وتـجتمعُ الـدُّنيا إذا اجتمعـوا
ويَـضْحَكُ الـدَّهْرُ مِـنْهُمْ في غطارفـةٍ ○●○ كـأنَّ أيَّـامَهُمْ ـ مِـنْ أُنـسِها ـ جُـمَعُ

ولشيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِنْ تلك الأخلاقِ نصيبٌ، نزل في بيتي، فرأيتُ له أخلاقًا لم أَجِدْها إِلَّا في مَطَاوِي الكُتُبِ، فرغبتُ إليه أتعلمُ مِنْ هَدْيِهِ، وأقتبسُ مِنْ أخلاقِهِ، فغمرني فَضْلُهُ، وشَمَلَنِي حُبُّهُ، ونالني عَطْفُهُ، فلا تعجبوا من تلميذٍ صغيرٍ يتحدَّثُ عن أستاذٍ عظيمٍ، لكنَّها كلماتٌ قليلةٌ اعترافًا بالفَضْلِ لأَهْلِهِ: و«**لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ**».

سأبكِيكَ للدُّنْيا وللدِّينِ، إنَّني ربيعٌ ○●○ رأيـتُ يَـدَ المَعْـرُوفِ بَعْـدَكَ شُـلَّتِ
إذا ضَـنَّ[1] الغَـمَـامُ بمائِـهِ ○●○ وَلَيْتُ إِذا مت المشرفيةُ[2] سُلَّتِ[3]

---

(1) ضَنَّ: بَخِلَ.

(2) المَشْرَفِيَّة: سُيُوفٌ منسوبةٌ إلى مَشَارِفَ، وهي قُرىً من أرضِ العربِ تدنو من الريف.

(3) سَلَّ السَّيْفَ: انتزعه مِنْ غِمْدِهِ، وبابُهُ رَدَّ.

وهذا جهد مُقِلٍّ: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ (الطَّلَاق : 7).

غفر اللهُ لشيخنا، وجعل له لسانَ صِدْقٍ في الآخِرِينَ[1]، وآخِرُ دَعْوَانا أَنِ الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمين.

كتبه
أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

(1) أيْ: وجعل له ثناءً حسنًا باقيًا إلى آخِرِ الدَّهْرِ.

مُوجَزُ التَّرْجَمَةِ

◆ **اسْمُهُ وَنَسَبُهُ:**

هو الإمامُ العلَّامة المحدِّثُ الزَّاهِدُ أبو عَبدِ الرَّحْمَنِ مُقْبِلُ بْنُ هادي بْنِ مُقْبِلِ بْنِ قائدة[1] الهَمْدَانِيُّ الوادعيُّ[2] الخلاليُّ من قبيلةِ آلِ راشدٍ.

◆ **مَوْلِدُهُ:**

ذكر مَرَّةً أنَّه مِنْ مَوَالِيدِ (1352 هـ) في مَدِينةِ دَمَّاجَ[3].

---

(1) قائدة: اسم رجلٍ.

(2) وادعة من حاشد، فالشَّيْخُ رَدَّ الأَمْرَ للمُؤَرِّخِ مُحَمَّدِ الأَكْوَعِ، فقال في رسالة أرسلها إليه، ومِمَّا جاء فيها: (وشَيَبَاتُنا يقولون: إن وَادِعَةَ من بكيلٍ، وأنتمَ - حفظكم اللهُ - أعرفُ بالأنسابِ مِنِّي ومنهم؛ لأنَّ هذا فنُّكُمُ الذي لا ينافِسُكم مُنافِسٌ فيه من المعاصرين). انظر ترجمة الشيخ بقلمه (ص17).

ومحمدُ الأكوعُ رَحِمَهُ اللَّهُ يقول - كما في التعليق على «صفة جزيرة العرب» (ص160) -: «ودَمَّاجُ هذه في بلدةِ صَعْدَةَ، وعِدَادُها من حَاشِدٍ، وهم يَتَبَكَّلُونَ اليَوْمَ (أَيْ: ينتسبون إلى بَكِيلٍ قبيلةٍ عُظْمَى من قبائل اليمن، زاعمين أَنَّهم في الأَصْلِ منها)».

(3) دمَّاجُ تبعدُ عن صَعْدَةَ بـ (9كم)، وصعدةُ تبعدُ عن صَنْعَاءَ بـ (243 كم)، وهي (أَيْ: دَمَّاج) مدينةٌ جميلةٌ تقعُ في وادٍ رائعٍ، دائمة الخُضْرةِ، كَثِيرَةُ البَسَاتِينِ، نَقِيَّةُ الهَوَاءِ، عَذْبَةُ المِيَاهِ، تَكْسُوهَا الأَشْجَارُ، بَدِيعَةُ الجَمَالِ، وَارِفَةُ الظِّلَالِ، نَادِيَةُ الأَفْيَاءِ، فِي ظِلَالِهَا يَتَأَنَّقُ المُصَنِّفُ فِي تَصْنِيفِهِ، وَيُبْدِعُ الشَّاعِرُ فِي شِعْرِهِ.

قال أخونا عبدُ اللهِ بْنُ إِسْحَاقَ:

دَمَّـــاجُ رِفْقًـــا إِنَّنِـــي مُـــضْنَاكِ ○●○ فَتَرَفَّقِـــي بِفَتَـــى مُحِـــبٍّ شَـــاكِي
أَنَـــا شَـــاعِرٌ نَظْـــمَ القَـــوَافِي لَوْعَـــةً ○●○ فَهَمَـــتْ عُيُـــونُ الـــشِّعْرِ يَـــوْمَ أَتَـــاكِ
نَـــبْضٌ يُعَـــانِقُ أَحْـــرُفِي وَيَـــضُمُّهَا ○●○ وَيَقُـــولُ: يَـــا دَمَّـــاجُ، مَـــا أَحْـــلَاكِ
أَنَـــا مُغْـــرَمٌ نَثْـــرَ القَـــوَافِي عِنْـــدَمَا ○●○ أَلْفَـــى الـــسُّمُوِّ بِنُـــورِهِ حَيَّـــاكِ =

وَنَشَأَ يتيمًا، إذْ تُوُفِّيَ والدُهُ ولم يتجاوزِ الخامسةَ من عُمُرِهِ، ثُمَّ تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ قَبْلَ أنْ يَبْلُغَ سِنَّ البُلُوغِ.

◆ **صفاتُهُ:**

مُتَوَسِّطُ القامةِ، أَقْرَبُ إلى القِصَرِ مِنَ الطُّولِ، نَحِيفُ الجِسْمِ، كَوْسَجٌ[1]، حِنْطِيُّ اللَّوْنِ[2]، أَقْنَى الأَنْفِ[3]، مُتَوَسِّطُ العَيْنَيْنِ، مَعَ لَمَعانٍ وحِدَّةٍ لا تَخْفَى، مُسْتَطِيلُ الوَجْهِ، سَبْطُ الشَّعْرِ، قَلِيلُ الشَّيْبِ، في راحَتَيْهِ نُعُومَةٌ[4].

يَا مَنْ لَهُ الأَخْلَاقُ ما تَهْوَى العُلَى ○●○ منها، وما يَتَعَشَّقُ الكُبَراءُ
أَمَّا الجَمَالُ فأنت شَمْسُ سَمَائِهِ ○●○ ولَأَنْتَ بَدْرٌ مُشْرِقٌ وَضَّاءُ
والحُسْنُ مِنْ كَرَمِ الوُجُوهِ، وَخَيْرُهُ ○●○ ما أُوتِيَ القُوَّادُ والزُّعَمَاءُ

= وَقَالَ وَلِيدُ الرِّيمِيُّ:

دَمَّاجُ هَـذِي أَرْضُنَا يَا سَائِلِي ○●○ هَذِي قِرَاءُ العِلْمِ والعِرْفَانِ
أَرْضٌ تُبَاهِي بِالضِّيَاءِ شُعَاعُها ○●○ شَمْسُ النَّهَارِ تَلُوحُ بِاللَّمَعَانِ
لَبِسَ الفَوَاكِهَ صُفْرَةً، وَحَمَارُهَا ○●○ أَضْحَى يَفُوقُ شَقَائِقَ النُّعْمَانِ
فَيْضُ الهَوَاءِ نَسِيمُهُ وَنَشِيدُهُ ○●○ بَيْنَ الزُّهُورِ رَفِيقُ أَلْحَانِي
زَرْعٌ وَالخُضَارُ ومَشْجَرٌ ○●○ رَطْبٌ وَوَادٍ سَاحِرٌ أَلْهَانِي

وقال عبدُ اللهِ السوديُّ:

مَا بَالُ وَادِيكِ ـ يَا دَمَّاجُ ـ مُبْتَهِجٌ ○●○ وَالسَّهْلُ يَضْحَكُ، وَالرُّمَّانُ يَبْتَسِمُ؟!

وَمِمَّا جَاءَ فِي وَصْفِ دَمَّاجَ مِنَ النَّثْرِ قَوْلُ العَتْمِيِّ ـ كما في كتابِهِ: «الإبهاج» (ص16) ـ: (أَرْضُ دَمَّاج مُعَمَّمَةٌ بالاخضِرارِ، مَكْسُوَّةٌ بِالأَشْجَارِ، تَأْخُذُ ـ بِطَبِيعَتِهَا الخَلَّابَةِ وَجَمَالِهَا السَّاحِرِ ـ عَوارِضَ الهُمُوم لِدَيْمُومَةِ النَّتَاجِ، وَتَعَاقُبِ العَطَاءِ، وَبَهْجَةِ المَنْظَرِ، مِياهُهَا الجَوْفِيَّةُ قَرِيبَةٌ كَثِيرَةٌ مُسْتَبْحِرَةٌ، تَكَادُ تُنادِيكَ صُمُّهَا الصِّلَابُ: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ (ص: 42).

(1) كَوْسَج: أي عَدِيمُ شَعْرِ العَارِضَيْنِ، فَلِحْيَتُهُ في ذَقْنِهِ.
(2) الحِنْطِيُّ: هو الَّذي في وجهه بياضٌ مُشْرَبٌ بِحُمْرَةٍ قَاتِمَةٍ.
(3) أقنى الأنف: الذي في أَنْفِهِ امْتِدَادٌ مَعَ دِقَّةِ أَرْنَبَتِهِ وَحَدَبٍ في وَسَطِهِ.
(4) راحتيه: أَيْ بطون كَفَّيْهِ.

وكان - إلى جانبِ ذلك - يَتَمَتَّعُ بِحَيَوِيَّةٍ وَنَشَاطٍ عَجِيبٍ، عَلَى وَجْهِهِ نضارةُ أَهْلِ الحديث، تلك أوصافهُ تُغْنِيكَ عن ريشةِ المُصَوِّرِين، وما ثبت حُرْمَتُهُ بيقينٍ، فحالُهُ:

أَمُصَوِّرُ الأجسامِ والأَبْدَانِ ○●○ هَلَّا تُصَوِّرُ حِكْمَتِي وبَيَانِي
أَتُصَوِّرَنْ وَجْهَ الرِّجالِ وتَتْرُكَنْ ○●○ تَصْوِيرَ ما بِهِمُو مِنَ العِرْفَانِ؟!
المَرْءُ لَيْسَ بوَجْهِهِ أو جِسْمِهِ ○●○ لكن بفِكْرٍ ثاقبٍ ولسانِ
لو كان قَدْرُ المَرْءِ جِسمًا لا حجًا[1] ○●○ لما عليه النورُ بالجُسْمَانِ

◆ لباسُهُ:

عامَّةُ لباسِهِ البياضُ، فيلبسُ الثيابَ البيضاءَ الَّتي تبلغُ إلى نصفِ ساقِهِ، ويلبسُ - أحيانًا - الجُبَّةَ فوقها إلى أَرْفَعَ مِنْ ذلك بقليلٍ، له عِمامةٌ مُكَوَّرَةٌ، لها ذُؤابةٌ قصيرةٌ، في حَقْوِهِ مُسَدَّسٌ وجَنْبِيةٌ كعادةِ أَهْلِ اليَمَنِ.

إنَّ العُيُونَ رَمَتْكَ إذْ فَاجَأْتَهَا ○●○ وعليكَ مِنْ شُهرِ الثِّيابِ لِبَاسُ
أَمَّا الطَّعامُ فَكُلْ لنفْسِكَ ما تَشَا ○●○ واجْعَلْ لِباسَكَ ما اشتهاهُ النَّاسُ

وَكَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ نَظِيفَ الثِّيَابِ طَيِّبَ الرَّائِحَةِ، لَا نَعْرِفُ عَنْهُ أَنَّهُ اعْتَادَ لَوْنًا مِنَ الطِّيبِ، فَتَارَةً نَجِدُ فِيهِ رَائِحَةَ المِسْكِ، وتارةً نَجِدُ رَائِحَةَ العُودِ الهِنْدِيِّ - وهُوَ الغَالِبُ - وَتَارَةً نَجِدُ لَوْنًا آخر.

لو كنتُ أَحْمِلُ جَمْرًا حين زُرْتُكُم لكنْ ○●○ لَمْ يُنْكِرِ الكَلْبُ أَنَّ صاحبُ الدَّارِ
أتيتُ وريحُ المِسْكِ يَقْدُمُني[2] ○●○ وَالعَنْبَرُ النَّدُّ مَشْبُوبٌ[3] على النَّارِ

(1) الحجا - بزِنَةِ إِلَى -: العَقْل، والجمع أَحْجَاءٌ.

(2) يَقْدُمُني: يتقدَّمني.

(3) مَشْبُوب: مُوقَد، وبابُهُ رَدَّ.

لَمحاتٌ عَنِ الصِّفاتِ الخُلُقِيَّةِ

تَفرَّدَ شيخُنا الوادعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بصفاتٍ عديدةٍ، لا تكادُ تجتمعُ في رجلٍ واحدٍ إلَّا في القليلِ النادرِ، ومِنْ أَبْرَزِ تلك الصِّفَاتِ ما يَأْتِي:

1- الزُّهْدُ والوَرَعُ :

الزُّهْدُ ـ كما قال ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «تَرْكُ ما لا يَنْفَعُ في الآخرةِ، والوَرَعُ تَرْكُ ما يُخَافُ ضَرَرُهُ في الآخرةِ»[1].

خَصْلَتَانِ اتَّصَف بهما الأنبياءُ، وتَحَلَّى بهما وَرَثَةُ الأنبياءِ الَّذين لا يَخْشَوْنَ أحدًا إلَّا اللهَ، وشيخُنَا رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَدْ جَمَعَ أقسامَ الزُّهْدُ: الزُّهْدُ في الحَرَامِ، الزُّهْدُ في الشُّبُهاتِ، والزُّهْدُ في الفُضُولِ، والزُّهدُ الجامعُ لذلك كُلِّهِ، وَقَدْ شَهِدَ له بذلك المُخَالِفُ قَبْلَ المُوَافِقِ.

قال مُحَمَّدُ بْنُ مَهْدِيٍّ ـ وهو ممَّنِ اختلف معه، واستمرَّ على ذلك ـ:

لا عَيْبَ إن كنتُ رَغْمَ الخُلْفِ أَبْكِيهِ ○●○ وَأَنَّ شِعْرِي بَعْدَ المَوْتِ يَرْثِيهِ!
فالزُّهْدُ حِلْيَتُهُ، والعِلْمُ خَلَّتُهُ ○●○ وَالصَّبْرُ عِمَّتُهُ[3]، ذَا المَدْحُ يَكْفِيهِ
ثَلاثَةٌ مِنْ عُقُودِ العُمُرِ أَعْرِفُهُ[2] ○●○ فِيهَا بَعِيدًا عَنِ الإسْرَافِ وَالتِّيهِ[4]

وقال أحمدُ بْنُ حسنٍ المعلمُ ـ وهو أيضًا مِمَّنِ اختلف معه في حياتِهِ ـ:

---

(1) نقلها عنه تلميذه ابن القيِّم في «مدارج السالكين» (2/10).

(2) العِمَّة ـ بالكسر ـ: الاعتمام.

(3) التِّيه ـ بالكسر ـ: الكِبْر

(4) من قصيدةٍ لمحمَّدٍ المهديِّ في رِثَاءِ الإمامِ الوادعيِّ بعنوان: «رَزِيَّةٌ في بني الإسلامِ قَدْ وَقَعَتْ»، المنتدى عدد (68).

وابْنُ هادي العَظِيمُ مَنْ كان رَمْزًا ○●○ سامِقًا[1] للوَفا وحُسْنِ الجِوَارِ!

ولحُبِّ العُلُومِ حُبًّا يُساوي ○●○ ما رَوَيْنا لمُسْلِمٍ والبُخاري

فَهْيَ أَغْلَى لَدَيْهِ مِنْ كُلِّ غالٍ ○●○ وَأَعَزُّ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جاري

مَلَكَتْ نَفْسَهُ، فَلَسْتَ تَراهُ ○●○ ناظِرًا غَيْرَها بغَيْرِ احتقارِ

كم سَمِعْنَاهُ صادقًا وهو يُدْلي ○●○ بحديثٍ مُؤَثِّرٍ ذي اختصارِ

إنَّ دُنْيا المُلُوكِ لَيْسَتْ تُساوي ○●○ عِنْدَنَا «بَعْرَةً»، فَلَسْنَا نُجاري

أَهْلَهَا رَغْبَةً وحِرْصًا عَلَيْهَا ○●○ فَلْيَبُوءُوا[2] بِوِزْرِها والخَسارِ

وَلْيُتِيحُوا لنا مَقامًا كريمًا ○●○ آمنًا نائِيًا عَنْ الاِحْتِكَارِ

نَنْشُرُ العِلْمَ والهِدايَةَ مِنْهُ ○●○ مُطْمَئِنِّينَ فِيهِ مِنْ كُلِّ طَاري

لَمْ يَكُنْ هَمُّهُ سِوَى نَشْرِ عِلْمٍ ○●○ ورُسُوخِ هَدْيٍ، وَقَمْعِ مُماري[3]

زاهِدٌ صادِقٌ قريبٌ مِنَ النَّا ○●○ سِ، بَعِيدٌ مِنَ الرِّيا والفَخَارِ

واضِحُ النَّهْجِ[4] ما لَدَيْهِ التِبَاسٌ ○●○ صادعُ النُّصْحِ، لَمْ يَكُنْ بالمُداري[5]

إنْ قَسَا فهي غَيرةٌ واهتمامٌ ○●○ وإذا رقَّ فَلِأُولي اعْتِبَارِ

فهو في الحالَتَيْنِ ما كان إلَّا ○●○ ناصحًا ناصعًا نَقِيَّ الإزارِ[6]

---

(1) سامقًا: عاليًا، وبابُهُ دَخَلَ.

(2) فَلْيَبُوءُوا: فليرجعوا، وبابُهُ قَالَ.

(3) المُماري: المُجادل.

(4) النَّهج ـ بالفتح ـ: الطَّريق.

(5) المُداري: المُداجي المُجامل.

(6) من قصيدةٍ لأحمدَ بْنِ حَسَنٍ المعلم في رِثَاءِ الشَّيْخِ بعنوان: «ابن هادي العظيم»، ونشرتْ بمجلة المنتدى العدد (68) رجب 1422هـ.

وقال عبدُ اللهِ بْنُ غالبٍ ـ وهو مِنْ طُلَّابِهِ، وممَّن اختلف معه، وكان يُسمِّيه بِالطالبِ العاقِّ! ـ:

ومُنْذُ لَزِمْتُ الشَّيْخَ فِي فَجْرِ عَهْدِهِ ○●○ وَرَافَقْتُـهُ حَـالَ الإقامـةِ والسَّفرِ

عَرَفْتُ إمامًا كـان في الزُّهْـدِ آيـةً ○●○ وفي الجِدِّ والتَّحصيلِ طَوْدًا[1] مِنَ الصَّبْرِ[2]

وقال الزَّنْدانيُّ: «إِنِّي أعرفُ الشَّيْخَ مُقْبِلًا، لو أُعْطِيَ الدُّنيا ما تراجع عَنْ دِينِهِ، ولو حَدِيثًا واحدًا»[3].

فتلك شَهَادَةُ بَعْضِ مَنِ اختلف معهم، فلا نُطِيلُ في ذِكْرِ المُوافقينَ له، وقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ قبل أنْ تَأْتِيَهُ الدُّنْيَا في زُهْدٍ وقَناعةٍ، ولمَّا جاءَتْهُ لم تُغَيِّرْهُ؛ بل هو الَّذي غَيَّرَها.

جاءه بَعْضُ أَهْلِ الخَيْرِ بمالٍ وَفيرٍ يَبْنِي له به بَيْتًا[4]، فأخذه وبنى له بِهِ مَسْجدًا، فلمَّا عاد فاعلُ الخَيْرِ، وقال له: أين البيت؟ أشار إلى المسجدِ، وقال: هذه.

عَرَضَ عليه الرَّئيسُ علي عبد الله صالح ـ حفظه الله ـ المُساعدةَ في لقاءٍ له به، وقال له: أنا أُرِيدُ أَنْ أُساعِدَكَ، فقال الشَّيْخُ: لا أُرِيدُ شَيئًا، وجزاكَ اللهُ خيرًا.

فقال الرئيس: أنا أريدُ أَنْ أُساعِدَكَ من مالي الخاصِّ، فكرَّر الشَّيْخُ الاعتذارَ، فقال الرَّئيسُ: مَنِ الَّذِي يُساعِدُكَ؟ قال الشَّيخُ: أهلُ الخَيْرِ، فقال الرَّئيس: اجعلني واحدًا منهم، فقال الشيخُ: لا أريدُ وجزاك اللهُ خيرًا[5].

---

(1) الطَّوْد ـ بالفتح ـ: الجبل العظيم، والجمعُ أَطْوَادٌ.

(2) من قصيدةٍ لعبدِ اللهِ بْنِ غَالِبٍ الحِمْيَرِيِّ بعنوان: «في موكبِ الوَدَاعِ»، ونشرت في مجلة المنتدى العدد (68).

(3) انظر «الإمام الأَلْمَعِيُّ» (541).

(4) كان مسكنُ الشَّيْخِ من الطِّينِ، وسُقِفَ من خَشَبِ الأَثْلِ، فأراد فاعلُ الخَيْرِ أَنْ يَبْنِيَ له بيتًا تليقُ به، فلم يَرْضَ إِلَّا بِبَيْتٍ في الجَنَّةِ إِنْ شَاءَ اللهُ.

أُتِيحَتْ لَـهُ الدُّنْـيَا بِكُـلِّ بَهَائِهَا ○●○ فَقَالَ لَهَا: الأُخْرَى أَجَلُّ وَأَفْضَلُ

(5) انظر «الإمام الأَلْمَعِيُّ» (75).

ويقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اتَّصل بي الرَّئيسُ، وطلب مني أنزل، فقلتُ له: ما في وُقُوف على الأبوابِ؟ فقال: ما في وقوف[1].

ودخل ذاتَ مَرَّةٍ على الرَّئيس، فقال له الرَّئيسُ: اطلب ما شِئْتَ، فإنَّ مَنْ دَخَلَ لا بُدَّ أَنْ يَطْلُبَ، ولا بُدَّ أَنْ نُعْطِيَهُ، فقال: ما أريدُ شيئًا، إنَّما جِئتُ ناصحًا لا طالبًا، ولولا أنكم دعوتموني ما جئتُ، فأرسل إليه إلى بيته سيَّارةً (لاندكروزر) أربعة في أربعة، فقال له بعضُ الطَّلَبَةِ: رُدَّها يا شَيْخُ، فقال: ما الدَّليل أنِّي أَرُدُّها؟ أنا ما طلبتُ[2].

وكان هناك مجموعةٌ من العُمَّالِ يعملون، ويفرضون على كُلِّ واحدٍ في الشَّهْرِ مِائَةَ ريالٍ، ويرسلونها إلى الشيخ.

فقال لهم: إنَّ هذا الفِعْلَ ليس بمشروعٍ، وهذا المالُ قد وصل، ولكن لا تفعلوا مَرَّةً أخرى، فَمَنْ تَيَسَّر له شيءٌ، وأراد أن يساعد الدَّعوةَ فعل، أمَّا هذا فما كان النَّبيُّ ﷺ يَفْعلُهُ[3].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعلمُ الله لو دُعينا لرئاسة الجُمْهُوريَّةِ، ولمُلْكِ اليَمَنِ وَغيرِ اليَمَنِ، أو لثَرَواتِ الدُّنْيا ـ لما أجبنا؛ فقد أحببنا العِلْمَ، فالحمدُ للهِ الَّذي حَبَّبَ العِلْمَ إلينا»[4].

وقال في بَعْضِ دُرُوسٍ له: «نَقْلُ الصَّخرِ، أَوِ الضَّرْبُ بالعِصِيِّ أَهْوَنُ عِنْدَنا مِنْ أَنْ نَقُولَ: بَقِيَ كذا وكذا»[5].

---

(1) «الإبهاج» (ص100).

(2) من شريط «سلسلة النصيحة» لأسامةَ القوصيِّ شريط رقم (29).

(3) «غارة الأشرطة» (1/442).

(4) المرجع السابق (1/413).

(5) انظر «الإمام الألْمَعِيُّ» (ص76).

وقال في شريطِ أسئلةِ بيتِ الفَقِيهِ: «أستطيعُ أَنْ أُقْسِمَ باللهِ أَنَّني ما قَدْ وَقَفْتُ على بابِ تاجرٍ من أَجْلِ المَسْأَلَةِ»[1].

وقال عنه العلَّامةُ ربيعُ بْنُ هادي ـ حفظه الله ـ : «النَّاسُ يَلْهَثُونَ بَعْدَ المَطَامِعِ، وهو شامخٌ بأَنْفِهِ عَنِ الدُّنْيا ويُؤَلِّفُ في تِلْكَ: (ذَمّ المسألةِ)»[2].

2- الكَرَمُ:

الكَرَمُ صفةٌ نبيلةٌ، وسِمَةٌ جليلةٌ، وعادةٌ حَمِيدةٌ، خُلُقٌ محمودٌ، وحوضٌ مَوْرُودٌ، دليلٌ على كَرَمِ النَّفسِ، وطِيبِ الأَصْلِ، وجمالِ الطَّبْعِ، وصَفَاءِ القَلْبِ، وحُبِّ الخَيْرِ، وعِشْقِ المعروفِ، يجتذبُ القُلُوبَ، ويَصْنَعُ الحُبَّ، يقتلعُ الضَّغائنَ[3]، وَيَسُلُّ السَّخائِمَ[4]، حيثُما وُجِدَ فاحَ عَبِيرُهُ، وعَبِقَ عِطْرُهُ، وضَاعَ[5] أَرِيجُهُ[6]، لا يتَّصِفُ به إلا العُظَمَاءُ، ولا يتحلَّى به إلَّا النُّبلاءُ، أَهْلُهُ مُمْتَدَحُونَ، وأربابُهُ مُعَظَّمُون، وهو العُمُرُ الثَّاني للإنسان، والذِّكْرُ الباقي للشُّجْعَانِ.

لَعَمْرُكَ، ما يُغْنِي الثَّراءُ عَنِ الفَتَى ○●○ إذا حَشْرَجَتْ يومًا وضاق بها الصَّدْرُ؟!
أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ المَـالَ غـادٍ ورائـحٌ ○●○ ويَبْقَى مِنَ المَالِ الأَحَادِيثُ والذِّكْرُ؟!

الكريم أينما حَلَّ كالغَيْثِ الهَنيءِ، إذا نزل بأرضٍ اهتزَّتْ وَرَبَتْ، وأنبتتْ من كُلِّ زوجٍ بَهيجٍ، وكالظِّلِّ الوارفِ يَأوِي إِليه المُحْتَاجُ، ويستظلُّ به المُنْهَكُ، ويَلُوذُ به

(1) المرجع السابق (ص76).
(2) «البدر التَّمام» (ص21).
(3) الضَّغَائِن: جمعُ ضغينةٍ، وهي الحِقْدُ.
(4) السَّخائم: جمعُ سَخِيمةٍ، وهي الحِقْدُ.
(5) ضاع المِسْكُ: تحرَّك فانتشرتْ رائحتُهُ، وبابُهُ قال.
(6) الأَرِيج ـ بِزِنَةِ الأمير ـ: تَوَهُّجُ رِيحِ الطِّيبِ.

المنقطعُ، وكالبَحْرِ الهدَرِ[1] أُحِلَّ للنَّاسِ صَيْدُهُ وَطَعَامُهُ؛ يستخرجون منه حِلْيَةً يلبسونها، وترى الفُلْكَ[2] مواخِرَ[3] في ماءِ جُودِهِ، وأمواجِ عَطَائِهِ، والكَرَمُ حَرْبٌ على البُخْلِ، وثَوْرَةٌ على الشُّحِّ، وبُرْكَانٌ في وَجْهِ التَّقْتِيرِ[4]، وطَمْسٌ لمعالِمِ الأَنَانِيَّةِ، وَرَفْعٌ لمقامِ الإنسانيَّةِ.

تَحلَّى به الأنبياءُ، وتجمَّل به العُظَماءُ، وانتسب إليه الأَسْخِياءُ، والكريمُ اسمٌ مِنْ أسماءِ اللهِ ـ تعالى ـ.

فَهُوَ الكريمُ، ومنه الكَرَمُ، بَلْ هُوَ أَكْرَمُ الأَكْرَمِينَ: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ (العَلَق : 3).

فهو أكرمُ مِنْ كُلِّ كريمٍ، وأعظمُ من كُلِّ عظيمٍ، وأجودُ مِنْ كُلِّ جَوادٍ، وقد تسمَّى ـ جلَّ وعلا ـ بالكريمِ، ولم يتسمَّ بالسخيِّ؛ لأنَّ الكريمَ: كثيرُ العطاءِ، وَوافِرُ البَذْلِ، وَعَظِيمُ الإحسانِ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ أَوْ سُؤَالٍ، والسَّخِيَّ: هو المُعْطِي عِنْدَ السُّؤَالِ، وكَرَمُهُ ـ تعالى ـ ظاهرٌ وباطنٌ، وجَلِيٌّ وخَفِيٌّ، ومَادِّيٌّ وَمَعْنَوِيٌّ، ومَلْمُوسٌ ومَحْسُوسٌ.

إِلَيْهِ وإلَّا لا تُشَدُّ الرَّكَائِبُ[5] ○●○ ومِنْهُ وإلَّا فالمُؤَمِّلُ خَائِبُ
وَفِيهِ وإلَّا فالغَرَامُ مُضَيَّعٌ ○●○ وَعَنْهُ وإلَّا فالمُحَدِّثُ كاذِبُ

والكَرَمُ سِمَةٌ مِنْ سِماتِ الأنبياءِ عليهم السلام، ولقد كان النَّبيُّ ﷺ أكرمَ إنسانٍ، وأجودَ مخْلُوقٍ، وأعظمَ النَّاسِ بَذْلًا، وأَوْفَرَهُمْ عطاءً، وأَجْزَلَهُم إنفاقًا، ولقد جُبِلَ على الكَرَمِ، وتعوَّدَ بَسْطَ الكفِّ، وبَذْلَ النَّدَى مِنْ نُعُومَةِ أظفارِهِ ﷺ.

---

(1) الهَدَر ـ بفتحتين ـ: المُهْمَلُ الَّذِي لا يُمْنَعُ عَنْهُ.

(2) الفُلْك ـ بالضَّمِّ ـ: السُّفُن، وهو للواحد والجميع.

(3) مواخِرَ: أَيْ جَوَارِيَ يُسْمَعُ لجريهنَّ صوتٌ.

(4) التَّقْتِيرُ: التَّضْيِيق والبُخْل.

(5) الرَّكائب: جمعُ رِكَابٍ ـ بزِنَةِ كِتَابٍ ـ، وهي الإبلُ، ورِكَابٌ واحدتُها راحلةٌ، فلا واحدَ لها من لَفْظِهَا.

حينما بُدِيءَ بالوَحْيِ، وعاد خائفًا وَجِلًا إلى خَدِيجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالتْ له: «واللهِ، لا يُخْزِيكَ اللهُ أبدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَقْرِي الضَّيْفَ(1)، وتَحمِلُ الكَلَّ(2)، وتَكْسِبُ المَعْدُومَ(3)، وتُعِينُ على نَوَائِبِ الحَقِّ(4)»(5).

وفي «صحيح مسلم»(6) من حديثِ أنسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: ما سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ على الإسلامِ شيئًا إلَّا أعطاهُ، فجاءه رجلٌ، فأعطاه غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ(7)، فرجع إلى قَوْمِهِ، فقال: يا قَوْمِ، أسلِموا، فإنَّ محمَّدًا يُعْطي عطاءَ مَنْ لا يَخْشَى الفَقْرَ.

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»(8) من حديثِ جابرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: ما سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ شيئًا قَطُّ، فقال: لا.

ما قال: لا ـ قَطُّ ـ إلَّا في تَشَهُّدِهِ ○●○ لولا التَّشَهُّدُ كانتْ لاؤُهُ نَعَمُ
يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانَ راحَتِهِ ○●○ رُكْنُ الحَطِيمِ(9) إذا ما جاء يَسْتَلِمُ

ولَقَدْ ضَرَبَ الصَّحابةُ ـ رضوانُ اللهِ عليهم ـ أروعَ الأمثلةِ في الكَرَم، فهذا عُثمانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الَّذي كان يُجَيِّشُ(10) الجيوشَ، ويُطْعِمُ الطَّعامَ، ويسقي العَطْشَى، ويُكْرِمُ الجَوْعَى.

---

(1) أَيْ: تكرمه في تقديم قِرَاهُ، وإحسانِ مَأْوَاهُ.
(2) الكَلّ ـ بالفتح ـ: مَنْ لا يستقلُّ بأمره: كاليتيم، والضَّعيفِ، وذي العِيالِ.
(3) أَيْ: تُعطِي النَّاسَ ما لا يجدونه عند غَيْرِكَ، فَحُذِفَ أَحَدُ المفعولين.
(4) النوائب: جمع نائبةٍ، وهي الحادثة والمُصيبة، وإنَّما قالتْ: نوائب الحَقِّ؛ لأنَّ النَّائبة قد تكونُ في الخير، وقد تكون في الشَّرِّ.
(5) رواه البُخَارِيُّ (4953)، ومسلم (160).
(6) رواه مسلم (2312).
(7) أَيْ: كثيرة كأنَّها تملأ ما بَيْنَ جبلين.
(8) رواه البُخَارِيُّ (6034)، ومسلم (2311).
(9) الحطيم: جِدار حِجْرِ الكعبة، سُمِّي حطيمًا؛ لانحطامِ النَّاس عليه.
(10) يُجَيِّش: يجمع.

وعبدُ الرَّحمَنِ بْنُ عَوْفٍ الَّذي قَدِمَتْ له سَبْعُمائَةِ راحلةٍ تحملُ البُرَّ والدَّقيقَ والطَّعامَ، فلمَّا وصلتِ المدينةَ، أنفقها كُلَّها بأحمالِها وأحلاسِها[1] في سبيلِ اللهِ، وقَدْ كان أهلُ المدينةِ كُلُّهم عِيالٌ عليه، ثُلُثٌ يُقْرِضُهُمْ من مالِهِ، وثُلُثٌ يَقْضِي دَيْنَهُمْ، وثُلثٌ يَصِلُهُمْ ويُعْطِيهم[2].

وَكَرَمُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَشْهَرُ من نارٍ على عَلَمٍ[3]، شَهِدَ له بذلك المُخالفُ قَبْلَ المُوافقِ، والبعيدُ قَبلَ القريبِ.

كَرِيمًا سَخيَّ الكَفِّ تَعْلُوهُ هَيْبَةٌ[4] ○●○ وَيَكْسُوهُ بِشْرٌ في الرَّخَاءِ وفي العُسْرِ

كان رَحِمَهُ اللَّهُ إذا نزل به ضَيفٌ لا يسأله عَنْ حاجتِهِ، ولكنْ يُكْرِمُهُ حَتَّى يُخْبِرَ هُوَ عن حاجتِهِ.

قال الشَّيْخُ أحمدُ الوصابيُّ ـ حفظه الله ـ: كان الشيخ إذا جاءه ضيف لا يُرْضِيه إلَّا أَنْ يذبحَ له، ويُوصيني مِنَ الصُّبْحِ بذلك، وطلب مني ذاتَ مرَّةٍ أخًا خاصًّا لإكرام الضُّيُوفِ القادمين، وخصَّص لهذا المُضيفِ راتبًا في الشَّهرِ.

وقال ذاتَ مرَّةٍ ـ وهو على الكُرْسِيِّ مُناشدًا الطُّلَّابَ ـ: «إنَّه إذا قَدِمَ ضَيفٌ، ولم يُوجَدْ مَنْ يستقبلُهُ ممَّن خُصِّصُوا لذلك، أن يقومَ مَنْ وَجَدَهُ بإكرامِهِ وضِيافتِهِ، ويأخذ له ما يحتاجُ، ثُمَّ يأتيني وسأُعطيه ما بذله لذلك الضَّيْفِ»[5].

---

(1) الأحلاس: جمع حِلْسٍ ـ بالكسر ـ، وهو كساء على ظَهْرِ البعير تحت البَرْذَعةِ، ويُجْمَعُ ـ أيضًا ـ على حُلُوسٍ، وحِلَسةٍ.

(2) انظر «إمام العصر» للزَّهْرَانيِّ (87، 89) بتصرُّفٍ يَسِيرٍ.

(3) العَلَم ـ بفتحتين ـ: الجَبل، والجمعُ أعلام، وعِلَام.

(4) «ديوان البُحْتُرِيِّ» (1/48).

(5) انظر «الإمام الألمعيُّ» (81).

واحتاج ذاتَ يَوْمٍ أنْ يذبحَ لضيوفٍ، فلم يَجِدْ إلا قَعُودًا[1] أليفًا ـ كان له ـ قَدْ أَلِفَ الطُّلَّاب، وأحبوه، فكانوا يلعبون معه، ويستأنسُ بهم، ويلعبُ مَعَهُمْ، فأمر الشَّيْخ بنَحْرِهِ، فترجَّاه الطُّلَّابُ أَنْ يُبْقِيَهُ، فَأَبَى الشَّيْخ إلَّا أَنْ يُنْحرَ، وقال: مَنْ أعزُّ مِنْكُم؟[2].

وكان يساعدُ الطُّلَّابَ في زَوَاجِهِمْ مِنْ مالِهِ الخاصِّ، وذاتَ مَرَّةٍ أَعْطَى أَحَدَ الطُّلَّابِ مَبْلَغًا كبيرًا، فقال الطَّالِبُ: يا شيخُ، كيف أُعطَى هذا المالَ وإخواني من طَلَبَةِ العِلْمِ لم يأخذوا مِثْلَ ما أخذت؟!

فقال الشَّيْخُ: يا بُنَيَّ، هذا من مالي الخاصِّ.

وجاءه مجموعةٌ مِنَ الطُّلَّابِ، فأعطى كُلَّ طالبٍ مساعدةً على الزَّواجِ، فقالوا له: يا شيخُ، إنَّ لنا أخًا في الخارج اسْتَحَى أَنْ يَدْخُلَ، فأعطاه خمسين ألفًا، وزادَهُ عَشَرَةَ آلافٍ، وقال: هذا حَقُّ حَيائِهِ[3].

وممَّا يدلُّ على كَرَمِهِ تزويجُهُ بناتِهِ مِنْ بَعْضِ طُلَّابِهِ مِنْ دُونِ مُقَابِلٍ، بَلْ هُوَ الَّذي يُجَهِّزُها ويشتري لها ما تحتاجُ إليه، وفي أَحَدِ الأَيَّامِ كان يُدَرِّسُ في «قَطْرِ النَّدَى»، وبَعْدَ الانتهاءِ مِنَ الدَّرْسِ بَدَأَ الشَّيْخُ بخُطْبَةِ الحاجةِ، وإذا بالإخوةِ الحاضرينَ ينتظرون ماذا سيكونُ بَعْدَ خُطْبَةِ الحاجةِ مِنْ كَلَامٍ، فإذا بالشيخِ يُفاجِيءُ الحاضرين بقوله: إنَّه يزوِّج عَبْدَ الرَّقيبِ[4] ببنتِهِ، وتَمَّ العَقْدُ في هذِهِ الحَلْقَةِ، وبَعْدَ ذلك، جَهَّزَ الشَّيْخُ ابنتَهُ، وتَمَّ الزَّواجُ[5].

(1) القَعُود ـ بالفتح ـ من الإبلِ: ما أَمْكَنَ أن يُرْكَبَ، وأدناه أن يأتيَ عليه سنتانِ، فإذا أَثْنَى سُمِّيَ جَمَلًا.
(2) المرجع السابق (80).
(3) المرجع السابق (82).
(4) هو الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّقِيبِ الإِبِّيُّ مِنْ كِبَارِ طلبةِ الشَّيْخِ.
(5) «الإمام الألمعيُّ» (ص86).

وَكَانَ يَقُولُ: أَعْظَمُ مَشَقَّةٍ تُوَاجِهُنِي ـ أَعْظَمَ مِنْ مُوَاجَهَةِ المُبْتَدِعَةِ، وَأَعْظَمَ مِنَ التَّأْلِيفِ ـ هِيَ حَاجَاتُ الطُّلَّابِ، كَانَ لَا يَبْخَلُ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ، إِذَا جَاءَهُ مَالٌ، قَالَ: فَرِّقْهُ عَلَيْهِمْ فِي وَقْتِهِ، وَيَقُولُ: خَيْرُ البِرِّ عَاجِلُهُ.

كَرِيمًا سَخِيَّ الكَفِّ تَعْلُوهُ هَيْبَةٌ ○●○ وَيَكْسُوهُ بِشْرٌ فِي الرَّخَاءِ وَفِي العُسْرِ
هَشُوشًا بَشُوشًا طَيِّبَ القَلْبِ صَادِقًا ○●○ مُحِبًّا لِطُلَّابِ الحَدِيثِ بِلَا كِبْرِ

تَقُولُ زَوْجُهُ أُمُّ شُعَيْبٍ: كُنْتُ أُشْفِقُ عَلَيْهِ مِنْ كَثْرَةِ مَا كَانَ يَطَّلِعُ إِلَى الدُّولَابِ الَّذِي فِيهِ مَالُ الدَّعْوَةِ تَلْبِيَةً لِحَوَائِجِ الطُّلَّابِ الَّذِينَ يَعْرِضُونَ عَلَيْهِ حَوَائِجَهُمْ، إِمَّا فِي زَوَاجٍ، أَوْ مَشَاكِلَ أَوْ مَرَضٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ يَدَّخِرُ عَنْهُمْ شَيْئًا، وَهُوَ يَعْتَبِرُهُمْ أَبْنَاءَهُ، يَأْتِي العِيدُ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى شِرَاءِ ثَوْبٍ، فَلَا يَفْعَلُ مُرَاعَاةً لِشُعُورِ طُلَّابِهِ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَمْلِكُونَ قِيمَةَ مَلَابِسَ لِأَطْفَالِهِمْ، وَيَأْتِيهِ بَعْضُهُمْ يَشْكُو إِلَيْهِ مَرَضَ زَوْجِهِ، فَلَمْ يَجِدْ مَا يُعْطِيهِ، فَيَذْهَبُ إِلَى بَيْتِهِ، وَيَعُودُ وَمَعَهُ سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ، وَيُسَلِّمُهُ لِذَلِكَ الطَّالِبِ، وَلَمْ يَمْلِكْ أَهْلُهُ غَيْرَهُمَا.

وَإِذَا مَرِضَ أَحَدُ طُلَّابِهِ، فَلَا تَجِدُهُ إِلَّا سَائِلًا مُوَاسِيًا، وَإِذَا كَانَ فِي المُسْتَشْفَى زَارَهُ وَوَاسَاهُ، وَإِذَا قَدِمَ طَالِبٌ جَدِيدٌ، وَلَمْ يَجِدْ بَيْتًا، فَتَحَ لَهُ بَيْتَهُ حَتَّى يَجِدَ لَهُ بَيْتًا، وَحَالُهُ مَعَ طُلَّابِهِ كُلٌّ يُعْطِيهِ حَقَّهُ، وَيُنْزِلُهُ مَنْزِلَتَهُ، وَكَانَ هَذَا دَأْبُهُ وَأَدَبُهُ.

وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يُلْهِيهِ عَنْ أَحَدٍ ○●○ كَأَنَّهُ وَالِدٌ وَالنَّاسُ أَطْفَالُ

وَقَبْلَ أَنْ تَغْرُبَ شَمْسُهُ، وَيَأْفَلَ[1] نَجْمُهُ مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا، أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ؛ لِيُلْقِيَ دُرُوسَهُ، فَقِيلَ لَهُ: يَا شَيْخُ، أَنْتَ مُتْعَبٌ، يَقُومُ بِالدُّرُوسِ غَيْرُكَ، فَيَقُولُ: «لَا وَاللهِ لَا أَتْرُكُ تِلْكَ الوُجُوهَ الطَّيِّبَةَ».

(1) يأفل: يغيب، وبابُهُ دَخَلَ وجَلَسَ.

وَمَنْ كَانَ ذَا نَفْسٍ تَرَى الأَرْضَ جَوْلَةً ○●○ فَلابُـدَّ يَوْمًـا لِلـسَّمَوَاتِ يَرْتَقِـي

3- التَّواضُعُ الجَمُّ:

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذا تواضعٍ جَمٍّ، مع ما له من مكانةٍ عاليةٍ، ومنزلةٍ ساميةٍ في نفوس طُلَّابِهِ ومُحِبِّيهِ وكُلِّ مَنْ عَرَفَهُ، فكان يُجالسُ طُلَّابَهُ على الرَّمْلِ يتدارسُ مَعَهُمْ بَعْضَ المسائلِ، ويتحلَّقُ مَعَهُمْ حَوْلَ صَحْفَةِ الفُولِ، وكان يحملُ الطَّعَامَ على رَأْسِهِ للحُرَّاسِ، لا يتميَّزُ على طُلَّابِهِ بشيءٍ، وفي طُلَّابِهِ مَنْ يَلْبَسُ أحسنَ مِنْهُ بكثيرٍ.

يَحْكِي أَحَدُ القادمين مِنْ مَكَّةَ لِطلبِ العِلْمِ: وصلتُ دَمَّاجَ وسألتُ عَنْ مَسْجِدِ الشَّيْخِ، فدَلُّوني عليه، فدخلتُ وكنتُ أَرْقُبُ بابَ المَسْجِدِ مَتَى يدخلُ الشَّيْخُ، فظننتُ أنَّ الشَّيْخَ سيدخلُ علينا وهو لابسٌ البشتَ (أَيْ: أَنَّهُ مُمَيَّزٌ عَنْ طَلَبَتِهِ)، فلمَّا دخل ظننتُهُ القائمَ على المسجدِ؛ لأنَّنا اعتدنا بمكَّةَ أَنْ نَرَى ناسًا يقومون بالعِنَايَةِ بالمساجدِ، فلمَّا أخبروني أنه الشَّيْخُ تعجبتُ، وكان يَمْشِي الهُوَيْنا[1] بَعِيدًا عَنِ التَّكبُّرِ والتَّمايُلِ، فالتواضعُ سِمَةٌ لِمِشْيَتِهِ.

وَمَـشَيْتَ مِـشْيَةَ خاشـعٍ مُتَواضِـعٍ ○●○ مَـــنْ لا يُزْهِـــي ولا يَتكَـــبَّرُ

مَنْزِلُهُ مِنَ الطِّينِ، لَا يَتَمَيَّزُ عَنْ سَائِرِ البُيُوتِ، ورُبَّما خرج من بيته حامِلًا قِدْرًا كبيرًا على رأسِهِ، قد صنع فيه حُلْبَة لطُلَّابِهِ، وكان يعملُ في أرضِهِ ـ أحيانًا ـ بالمسحاةِ، ويقطعُ الخَشَبَ بِالفَأْسِ لأهلِ بَيْتِهِ.

ويَرْفُضُ الألقابَ، ويقولُ: أنا أعتبر نفسي طالِبَ عِلْمٍ حتَّى يتوفَّاني اللهُ، وكان يَقْبَلُ الحقَّ مِنَ الصَّغِيرِ والكَبِيرِ، فذاتَ يوم ذَكَرَ أَنَّ أَحَدَ الإخوةِ يقولُ بتحريقِ كتابِ فَتْحِ الباري، فقال الشيخ: «بَلْ هُوَ الَّذي يُحَرَّقُ». فقام طالبٌ صغيرٌ فقال: يا شيخ،

(1) الهُوَيْنا: التُّؤَدَة والرِّفْق والسَّكينة والوَقَار.

الرَّسُولُ يَقُولُ: «لا يُعذِّبُ بالنَّارِ إلَّا رَبُّ النَّارِ»، فقال الشَّيْخُ: «أستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه، لكنْ يُعزَّرُ[1]»، وكان يقولُ: «نَحْنُ طَلَبَةُ عِلْمٍ نُصِيبُ ونُخْطِيءُ، ونَجْهَلُ ونَعْلَمُ».

4- الصَّبْرُ:

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ صابرًا على قَسْوَةِ الحياةِ، وشَظَفِ العَيْشِ، وقِلَّةِ ذاتِ اليَدِ، ورُبَّما جاءه الضَّيْفُ فلا يَجِدُ إلَّا الأَرُزَّ مَعَ بَعْضِ قِطَعِ الطَّماطِمِ، في الوَقتِ الَّذي لو طَلَبَ فيه الدُّنيا، لجاءتْ خاشعةً ذليلةً وارتمتْ عند قَدَمَيْهِ.

وَأَمَّا صَبْرُهُ على العِلْمِ تحصيلًا وتعليمًا وتأليفًا، فحدِّثْ عنه ولا حَرَجَ، رُبَّما يكونُ مَريضًا فلا يتركُ الدُّرُوسَ، ولا يقدرُ أحدٌ أَنْ يَمْنَعَهُ، حتَّى يَكون المُستشفى هو الَّذي يَحولُ بَيْنَهُ وبَيْنَ الدُّرُوسِ، فإذا أتى إليه الطُّلَّابُ كانوا هُمُ العلَاجَ الَّذي يجدُ معه العافيةَ والانشراحَ، ورُبَّما حاضر من المستشفى إلى المراكزِ العِلْمِيَّةِ عَبْرَ الأَثِيرِ، فيجدُ بَعْدَها نشاطًا عَجيبًا، وَقَدْ عَلِمَ الأَطبَّاءُ أَنَّ الوَادِعِيَّ لا شَيْءَ يُهَدِّيءُ مِنْ مَرَضِهِ سوى تلك الوُجُوهِ الَّتي يَعُجُّ بِهِمُ المستشفى عَجِيجًا، والَّذين يعتبرهم أبناءَهُ.

فَلَا جَرَمَ، فها هو يسألُ طُلَّابَهُ قائلًا: «مَنْ أَكْثَرُ الحاضرين أولادًا؟».

فيذهبُ الطُّلَّابُ يَمْنَةً ويَسْرَةً، ولم يتفطَّنوا إلى ما يَرْمِي إليه الشَّيْخُ، بعدها قال: «أنا أكثرُكم؛ لأنَّكم أولادي».

5- الفِطْنَةُ:

كان الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فَطِنًا لَمَّاحًا، سريعَ البَدِيهَةِ[2]، حادَّ الذَّكاءِ، يُعالجُ المَوَاقِفَ بطريقةٍ تَنُمُّ عَنْ ذِهْنٍ وَقَّادٍ، وقَلْبٍ وَاعٍ، وأُسْلُوبٍ فريدٍ، تكْثُرُ شَكْوَى

(1) التَّعْزِير: ضَرْبٌ دُونَ الحَدِّ.

(2) سريع البَدِيهَةِ: أيْ يُصيبُ الرَّأيَ في أوَّلِ ما يُفَاجأُ بِهِ.

الطُّلَّابِ أَحَدَ إِخْوانِهِمْ، فَيُقِيمُهُ الشَّيْخُ وَيَقُولُ لَهُ: قُمْ ـ يا أَخَانَا ـ أَعْرِبْ: كَثُرَ شَاكُوكَ وَقَلَّ شَاكِرُوكَ.

ويأتيه جماعةٌ مِنَ الشِّيعَةِ، لِيَمْكُروا به، فَيَفْطَنُ لهما، فلَمَّا دخلا مسجِدَهُ، أَوْهَمَهُما أنه ذاهِبٌ ليَأْتِيَ لَهُمْ بالقَهْوَةِ، لكِنَّه ذهب ليَأْتِيَ بقَوْمِهِ بَعْدَ أَنْ أغلَقَ عليهمُ المسجدَ، فتعودُ الدائرةُ عليهما، وذلك في بدايةِ الدَّعْوَةِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَحَدٌ.

يتفرَّسُ في وُجُوهِ البَعْضِ، فَيَرَى سَحْنَةَ[1] الجاسوسيَّةِ، فيخبرُ عنه، وما هي إِلَّا أَيَّامٌ وَيَنْكَشِفُ البَهْرَجُ[2]، ولا يَحِيقُ المكرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ، فَرُبَّمَا تفرَّسَ في بَعْضِهِمْ، فيعرفُ أَنَّ الدَّافِعَ لَهُمُ الحاجةُ، فَيُحْسِنُ إليهم، ويُعَلِّمُهُم أمورَ دِينِهِمْ، مَعَ أَخْذِ الحِيطَةِ والحَذَرِ.

كما حصل أَنَّ رجلًا جاء؛ ليمكرَ به، فأَكْرَمَهُ الشَّيْخُ، وأَحْسَنَ إليهِ، وفي النِّهايةِ قال للشَّيْخِ: أنا ما جئتُ إِلَّا لأقتلك، ولكنِّي ما أدري لماذا ما استطعت؟!.

6- بَشَاشَةُ الوَجْهِ وطَلَاقَةُ المُحَيَّا والابتسامةُ المُشْرِقَةُ:

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ دائِمَ البِشْرِ، صاحبَ طريقة عذبةٍ، تَأْسِرُ الأرواحَ، وتملكُ القُلُوبَ، وتستحوذُ على المشاعِرِ، لا يستطيعُ المَلَلُ أَنْ يتسرَّبَ إلى نَفْسٍ مِنْ تِلْكَ النُّفُوسِ الَّتي انثنتْ رُكَبُها في حَلْقَةِ دَرْسِهِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأنَّك تَجِدُ الطَّرِيفَةَ والشِّعْرَ والأَدَبَ، والفائدةَ المَرْجُوَّةَ والنِّقَاشَ.

يُرْسِلُ طَرَائِفَهُ الرائعةَ الَّتي تَطْرُدُ المَلَلَ، وَتُجَدِّدُ النَّشَاطَ، وتَشْحَذُ الهِمَمَ، وتُزِيلُ السَّأَمَ، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا بُدَّ أَنْ نُقِيمَ حَدَّ السَّرِقَةِ على الشِّيعَةِ؛ لأنهم سَرَقُوا مَذْهَبَهُمْ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ».

---

(1) السَّحنة ـ بالفَتْحِ وَتُحرَّكُ ـ: الهَيْئَة.

(2) البَهْرَج: الباطل.

وَيَرُدُّ على مَنْ أجابَ على سُؤَالِهِ: لله أَنْتَ، أَنْتَ الَّذي أَجَبْتَ، ويَسْكُتُ سَكْتَةً خَفِيفَةً، ثُمَّ يَقُولُ: وما أَصَبْتَ.

وَيَسْأَلُ سُؤَالًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَقَدْ فَتَرَتْ شَفَتَاهُ عَنِ ابْتِسامَةٍ مُشْرِقَةٍ كإشراقةِ الحَنِّ الَّذي بين جَنْبَيْهِ: «الصَّبْرُ ضِيَاءٌ» فِي أَيِّ سُورَةٍ؟.

وَيَقُولُ لِأَحَدِهِمْ: هَلْ رَأَيْتَ شُعْبَةَ؟، فيقولُ: لا، فيقولُ الشَّيْخُ: ولكنَّني رأيتُهُ، فيردُّ الطالبُ: رأيت رَجُلًا يُشْبِهُهُ؟، فَيَضْحَكُ الشَّيْخُ ويقول: «رأيتُ» في اللُّغَةِ تَأْتِي بمعنى «عَلِمتُ».

وَيُصِرُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حديثٍ ضَعيفٍ أَنَّ مُسْلِمًا رَوَاهُ، وَيُصِرُّ الطُّلَابُ عَلَى أَنَّ الحديثَ ضعيفٌ، وَهُوَ يُرَدِّدُ: أقولُ لكم: رَوَاهُ مُسْلِمٌ. حَتَّى إذا أَعْيَتْهُمُ الحُجَّةُ ابتسم، وقال: رواه مسلمٌ من المسلمين.

وَيَقُولُ لأَحَدِ الطُّلَابِ ـ وَقَدْ أَسْنَدَ ظَهْرَهُ إلى سَارِيَةٍ في المَسْجِدِ ـ: أَجِبْ ـ يا بَطَلَ السَّارِيَةِ ـ أَجِبْ واقِفًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَجَالِسًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ، ثُمَّ يَبْتَسِمُ ضَاحِكًا.

وَيَقُولُ مُخَاطِبًا الطُّلَابَ: إِذَا قُلْتُ لَكُمْ: إِنَّ البِنَاءَ على المَسَاجِدِ سُنَّةٌ، فماذا تقولون؟ فَيَرُدُّ أَحَدُهُمْ بِأَدَبٍ جَمٍّ، ويقولُ: يا شَيْخُ، «لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ والنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ».

فَيُجِيبُهُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَلَكِنِّي مُصِرٌّ عَلَى أَنَّهَا سُنَّةٌ، حَتَّى إِذَا عَجَزَ الطُّلَّابُ عن فَهْمِ ما يَرْمِي إليهِ، قَالَ ـ وهُوَ يَبْتَسِمُ بصَوْتِهِ العَذْبِ وَبِنَبْرَتِهِ المُمَيَّزَةِ ـ: سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ اليَهُودِ والنَّصَارَى.

وهَا هِيَ علامةُ الاستفهامِ تَرْتَسِمُ على مَلامِحِ أبنائِهِ الطُّلَّابِ وَهُوَ يُعْلِنُ عن فارسٍ من فرسانِ السُّنَّةِ أَنَّهُ حِزْبِيٌّ، ثُمَّ يَبْتَسِمُ وَيَقُولُ: حِزْبِيٌّ مِنْ حِزْبِ اللهِ.

7- لِينُ الجَانِبِ :

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ لَيِّنَ الجَانِبِ، سَهْلًا قَرِيبًا حَبِيبًا، يَغْمُرُكَ بِإِحْسَانِهِ وحُبِّه وعَاطِفَتِهِ الفَيَّاضَةِ المُتَدَفِّقَةِ، مَا إِنْ تَجْلِسْ مَعَهُ، حَتَّى تَزُولُ أَمَامَكَ كُلُّ الحَوَاجِزِ، وَتَتَلاشَى كُلُّ المَسَافَاتِ، وَلَا تَبْقَى أَمَامَكَ سِوَى هَيْبَةِ العَالِمِ وجَلَالِهِ ووقارِهِ، وَسُمُوِّ مَكَانَتِهِ، أَبٌ حانٍ، وناصحٌ أمينٌ، ومربٍّ فاضلٌ، تَشْعُرُ وَأَنْتَ مَعَهُ أَنَّ كُلَّ لَحْظَةٍ تَمُرُّ عَلَيْكَ عالَمٌ مُتكَامِلٌ مِن العَطَاءِ والوَفَاءِ، والبَذْلِ والطُّمُوحِ، والحُبِّ والنَّمَاءِ، كانَ ـ بِحَقٍّ ـ نَسِيجَ وَحْدِهِ[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

8- حُبُّ الطُّلَّابِ والحُنُوُّ عَلَيْهِمْ والتَّلَذُّذُ بِالجُلُوسِ مَعَهُمْ :

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُحِبُّ طُلابَهُ حُبًّا جَمًّا، وَيَسْتَقبِلُهُمْ بِصَدْرٍ رَحْبٍ، وَجَبِينٍ وَضَّاحٍ، وَنَفْسٍ كَرِيمةٌ، لا يَنْهَرُ أَحَدًا، وَلَا يَكْرَهُهُ، وَكَانَ دَائِمًا يُرَدِّدُ عَلَى مَسَامِعِهِمْ: أَنَا لَيْسَ لِي أَبْنَاءٌ، وَلَكِنَّ اللهَ عَوَّضَنِي بِكُمْ، وَيَقُولُ: وَدِدْتُ أَنْ أَسْقِيَكُمْ العِلْمَ كَمَا أَسْقِيكُمُ المَاءَ فِي أَفْوَاهِكُمْ.

وَفِي دُرُوسَ البُخَارِيِّ يَحْفَظُ الطُّلَّابُ حَدِيثًا وَاحِدًا كُلَّ يَوْم، وَنِهَايَةُ الأُسْبُوعِ هُوَ يَوْمُ مُرَاجَعَةٍ، يَخْتَارُ الطَّالِبُ حَدِيثًا وَاحِدًا مِمَّا مَرَّ، وَيُلْقِيهِ بِالسَّنَدِ عَلَى مَسَامِعِ الشَّيْخِ، وَيَقُومُ أَحَدُ الطُّلَابُ، وَيَسْرِدُ أَحَادِيثَ الأُسْبُوعِ كَامِلَةً بِأَسَانِيدِهَا، وَفُوجِيءَ الطُّلَّابُ بِسُقُوطِ أَخِيهِم عَلَى الأَرْضِ، كَأَنَّهُ خَشَبَةٌ دُونِ حُرَّاك، يَفْزَعُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَيَأْمُرُ بِإِغْلاقِ أَبْوَابِ المَسْجِدِ، وَأَنْ يُحْضِرُوا القُدُورَ؛ لِيَتَوَضَّأَ كُلُّ مَنْ كَانَ فِي المَسْجِدِ مِنَ الأُلُوفِ المُؤَلَّفَةِ دَاخِلَ تِلْكَ القُدُورِ؛ لِيُؤْخَذَ بَعْدَهَا ذَلِكَ الشَّابُّ وَيُغْمَسُ فِي تِلْكَ القُدُورِ؛ لِيَقُومَ بَعْدَهَا وَكَأَنَّمَا أُنْشِطَ[2] مِنْ عِقَالٍ[3].

---

(1) يُقال: هُوَ نَسِيجُ وَحْدِهِ: إذا كان لا نظيرَ له في العِلْمِ وَغَيْرِهِ؛ وذلك لأنَّ الثَّوب إذا كان رفيعًا لم يُنْسَجْ على مِنْوَالِهِ غَيْرُهُ.

(2) أُنْشِطَ: حُلَّ وَفُكَّ.

(3) العِقال ـ بِزِنَةِ الكتاب ـ : الحَبْل والرِّباط، والجمع عُقُل.

وَكَانَ يَقُومُ بِنَفْسِهِ يَرْقِي بَعْضَ الطُّلابِ، وَيُعَوِّذُهُم بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ.

وَكَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَنْتَقِلُ مَا بَيْنَ الجُمُوعِ فِي حَلْقَةِ الدَّرْسِ، وَهُوَ يُرَدِّدُ بِتِلْكَ النَّبْرَةِ الحَبِيبَةِ الَّتِي تُمَيِّزُهُ عَنْ غَيْرِهِ: عِنْدِي سُؤَالٌ، مَنْ صَاحِبِهِ؟ دَعُونِي .. دَعُونِي .. مَنْ أَجَابَنِي أَعْطَيْتَهُ دِرْهَمًا، وَإِلَّا أُجِبْ أَنَا وَتُعْطُونِي دِرْهَمَيْنِ.

وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَتَفَقَّدُ طُلَّابِهِ، وَيَسْأَلُ عَنْهُمْ، وَسَأَلَ مَرَّةً عَنْ بَعْضِهِمْ، وَلَمْ يَكُونُوا مَوْجُودِينَ، فَطَفِقَ يَقُولُ:

سَيَذْكُرُنِي قَومِي إِذَا جَدَّ جَدُّهُمْ ○●○ وَفِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ

٩- عُلُوُّ الهِمَّةِ فِي طَلَبِ العِلْمِ وَتَعْلِيمِهِ لِلنَّاسِ :

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَالِي الهِمَّةِ، ذَا عَزِيمَةٍ قَوِيَّةٍ، لا يَسْتَصْعِبُ شَيْئًا، وَلا يَهُولُهَا أَمْرٌ مِنَ الأُمُورِ، كَانَ مُحِبًّا لِلْعِلْمِ، شَغُوفًا عَلَى نَشْرِهِ، بَاذِلًا حَيَاتِهِ فِي التَّعْلِيمِ وَالتَّصْنِيفِ، اسْتَمِعْ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: «وَإِنِّيَ - بِحَمْدِ اللهِ - أُحِبُّ كِتَابَ رَبِّيَ وَالسُّنَّةَ الغَرَّاءَ سِيَّمَا «الصَّحِيحَيْنِ»، وَالقِرَاءَةُ فِيهِمَا عِنْدِي أَحْلَى لَذَّةٍ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي إِذَا فَتَحْتُ «صَحِيحَ البُخَارِيِّ»، وَقُلْتُ: قَالَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكٌ. أَوْ فَتَحْتُ «صَحِيحَ مُسْلِمٍ»، وَقُلْتُ: قَالَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ ... أَنْسَى جَمِيعَ مَشَاغِلِ الدُّنْيَا وَمَشَاكِلَهَا».

وَهَا هُوَ ذَا - رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ - يَخْرُجُ مِنَ بَيْتِهِ فِي لَيْلَةٍ، كَانَ يَظُنُّ الجَمِيعُ أَنَّهُ لَنْ يَخْرُجَ فِيهَا لَا لِشَيْءٍ إِلَّا لِأَنَّهَا اللَّيْلَةُ الَّتِي أَعْرَسَ فِيهَا بِإِحْدَى نِسَائِهِ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ عَلَى كُرْسِيِّهِ أَنْشَدَ قَائِلًا:

سَهَرِي لِتَنْقِيحِ العُلُومِ أَلَذُّ لِي ○●○ مِنْ وَصْلِ غَانِيَةٍ[1] وَطِيبِ عِنَاقِ

---

(1) الغانية: المرأة الجميلة المُسْتغنية بحُسْنها عن الزِّنةِ، والجمعُ غَوانٍ.

وَتَتَجلَّى هِمَّتُهُ فِي قِرَاءَةِ كُتُبِ السَّلَفِ وَالتَّدْرِيسِ، وَالاهْتِمَامِ بِالطُّلَّابِ، وَتَطْبِيقِ السُّنَّةِ، وَاغْتِنَامِ الأَوْقَاتِ بِالتَّأْلِيفِ، وَاسْتِقْبَالِ الزَّائِرِينَ، وَالإِجَابَةِ عَلَى أَسْئِلَتِهِمْ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَجَالاتِ هِمَّتِهِ.

مُتَنَقِّلٌ فِي سُؤْدُدٍ[1] مِنْ سُؤْدُدٍ ○●○ مِثْلَ الهِلَالِ جَرَى إِلَى اسْتِكْمَالِهِ

10- الشَّجَاعَةُ:

كان رَحِمَهُ اللَّهُ شُجَاعًا، صَرِيحًا قَوَّالًا بِالحَقِّ، لَا يَخْشَى فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، فَكَمْ تَكَلَّمَ فِي أَهْلِ الأَهْوَاءِ وَالبِدَعِ، فَأَشْرِطَتُهُ وَكُتُبُهُ طَافِحَةٌ[2] بِالرُّدُودِ، فَهَا هُوَ يُصْدِرُ كِتَابًا تِلْوَ الكِتَابِ فِي الحَذَرِ وَالتَّحْذِيرِ مِنَ البِدَعِ وَالمُبْتَدِعَةِ، وَهَا هُوَ يُصْدِرُ بَعْضَ كُتُبِهِ، فَيَقُولُ لَهُ أَحَدُ طُلَّابِهِ: أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تُؤْذَى! فَيَقُولُ: «أَمُوتُ وَيَبْقَى الكِتَابُ»، فَيَعْرِفُ أَنَّهُ لَنْ يَتَرَاجَعَ قِيدَ[3] أُنْمُلَةٍ.

وَكَانَ مَعَ الزِّنْدَانِيِّ عِنْدَ الرَّئِيسِ، فَقَالَ لَهُمَا: أَنَا أَتَحدَّاكُمَا أَنْ تُثْبِتَا بُرْهَانًا عَلَى أَنَّنَا مُتَشَدِّدُونَ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ مُتَشَدِّدُونَ، فَسَكَتَ الرَّئِيسُ، فَقَالَ الزِّنْدَانِيُّ: أَمَّا أَنَا فَعِنْدِي، كَلَامُكَ فِي الأَشْخَاصِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ لِمُعَاذٍ: **«أَفَتَّانٌ أَنْتَ يَا مُعَاذُ؟»** وَيَقُولُ لِأَبِي ذَرٍّ: **«إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»** فَالْتَفَتَ الرَّئِيسُ إِلَى الزِّنْدَانِيِّ بِمَعْنَى: مَا هُوَ جَوَابُكَ؟ فَمَا كَانَ مِنَ الزِّنْدَانِيِّ إِلَا أَنْ قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الأَدِلَّةَ مَنْسُوخَةٌ[4].

وَيَذْهَبُ إِلَى الحَرَمِ الشَّرِيفِ، فَيَسْمَعُ أُنَاسًا مِنَ الأَتْرَاكِ يَرْقُصُونَ، وَيُدَنْدِنُونَ فِي حَلْقَةٍ كَبِيرَةٍ، فَيَدْخُلُ إِلَى وَسَطِ الحَلْقَةِ، فَيَصِيحُ بِهِمْ: أَبُيُوتُ اللهِ تُهَانُ، وَرَبُّ العِزَّةِ

---

(1) السُّؤدُد - بزنَةِ قُنْفُذٍ - : السِّيادة والرِّفْعَة والشَّرف.

(2) طافحة: مُمتلئة.

(3) القِيد - بالكسر - : القَدْر.

(4) «تُحفة المُجيب» للشيخ مُقْبل (ص367).

يَقُولُ فِي كِتَابِهِ الكَرِيمِ: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ (النور: 36)؟!.

فَيسكتُوا جَمِيعًا وَقَدْ أَخَذَتْهُمُ الدَّهْشَةُ وَالفَزَعُ، وَمَا هِيَ إِلَّا لَحْظَةٌ حَتَّى جَاءَ العَسْكَرِيُّ وَفَرَّقَهُمْ[1].

وَتَأْتِي السَّفِيرَةُ الأَمْرِيكِيَّةُ، وَتَطْلُبُ مُقَابَلَةَ الشَّيْخِ، فَيَرْفُضُ وَيَقُولُ: مَاذَا تُرِيدُ هَذِهِ المَرْأَةُ؟!، أَدْخِلُوهَا عِنْدَ النِّسَاءِ، فَتَرْجِعُ وَقَدْ رَضِيَتْ مِنَ الغَنِيمَةِ بِالإِيَابِ.

وَيَأْتِيهِ مُدِيرُ الأَمْنِ السِّيَاسِيِّ، وَيَطْلُبُ مِنْهُ تَسْلِيمَ الغُرَبَاءِ، فَيَقُولُ لَهُ: لَنْ نُسَلِّمَهُمْ لَكُمْ، وَلَوْ سَقَطَتِ السَّمَاءُ عَلَى الأَرْضِ؛ لِأَنَّكُمْ تَعْتَبِرُونَ ظَلَمَةً وَهُمْ مَظْلُومُونَ، وَهُمْ غُرَبَاءُ، وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ بِالجَرَّارِ وَخَرَّبْتُمْ بَيْتِي، أَوْ خَرَّبْتُمْ مَسْجِدِي، فَوَاللهِ، لَا تُرْفَعْ فِي وُجُوهِكُمْ بُنْدُقِيَّةٌ، فَيَرْجِعُ وَقَدِ ازْدَادَ إِكْبَارًا وَإِجْلَالًا لِلشَّيْخِ وَطُلَّابِهِ.

شُجَاعٌ صَرِيحٌ حَازِمٌ مُتَوَدِّدٌ ○●○ رَءُوفٌ رَحِيمٌ فِي البَرَايَا[2] مُبَجَّلُ[3]
وَمَا رَدَّهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ ○●○ يُجَرِّحُ فِي هَذَا، وَهَذَا يُعَدِّلُ
وَإِنْ لَمْ يَقُلْهَا الشَّيْخُ ظَلَّتْ حَبِيسَةً ○●○ وَعَنْ كَتْمِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ يُعْذَلُ[4]

تِلْكَ بَعْضُ أَخْلَاقِهِ، وَمَا زَالَتْ لَهُ مَوَاقِفُ تَخْفِقُ حَيَّةً فِي ذَاكِرَةِ الأَيَّامِ، وَتَفِيضُ حُبًّا فِي فُؤَادِ الدَّهْرِ، تَفُوحُ مِسْكًا عَلَى شَفَةِ الزَّمَانِ!

فَحَيَاةُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ حَيَاةٌ حَافِلَةٌ بِالمُثُلِ وَالقِيَمِ وَالمَبَادِئِ:

---

(1) المرجع السابق (ص382).
(2) البَرَايا: المخلوقات، جَمْعُ بَرِيئَةٍ وبَرِيَّةٍ، وَتَرْكُ الهَمْزِ أَوْلَى، وفِعْلُها بَرَأَ.
(3) مُبَجَّل: مُعَظَّم.
(4) يُعْذَل: يُلام، وبابُهُ نَصَرَ.

مَدْرَسَةٌ عَظِيمَةٌ تَعلَّمَ مِنْهَا الجِيلُ كُلَّ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَرْقَى بِهِ إِلَى آفَاقٍ شَاسِعَةٍ فِي السَّيْرِ عَلَى كِتَابِ اللهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَفْقَ فَهْمِ سَلَفِ الأُمَّةِ الأَخْيَارِ.

مَدْرَسَةٌ تَعلَّمَ مِنْهَا الجِيلُ كَيْفِيَّةَ الثَّبَاتِ عَلَى الحَقِّ ثَبَاتًا وَاثِقًا مِنْ وَعْدِ اللهِ، مُتَأَكِّدًا مِنْ بِشَارَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

مَدْرَسَةٍ تُعلِّمُ مِنْهَا الجِيلِ كَيْفَ يُتَرَفَّعَ عَنْ نَوازِعُ الطِّيْنِ، وَإِرهَاصَاتِ الإِخْلادِ، وَالانْبِهَارِ بِالزَّيْفِ.

مَدْرَسَةٌ تَعلَّمَ مِنْهَا الجِيلُ كَيْفَ يَكُونُ التَّنكُّرُ لِلذَّاتِ.

مَدْرَسَةٌ تَعلَّمَ مِنْهَا الجِيلُ مَعْنَى التَّفَانِي، وَحَقِيقَةَ البَذْلِ، وَرَوَائِعَ التَّضْحِيَةِ، وَحَقِيقَةَ العَطَاءِ.

مَدْرَسَةٌ تَعلَّمَ مِنْهَا الجِيلُ مَعْنَى التَّمَسُّكِ بِالحَقِّ، وَالْمُنَافَحَةِ عَنْهُ، وَالذَّوْدِ عَنْ حِيَاضِهِ.

ذَلِكَ هُوَ الإِمَامُ الشَّيْخُ الوَالِدُ مُقْبِلُ بْنُ هَادِي رَحِمَهُ اللَّهُ، وَأَسْكَنَهُ فَسِيحَ جَنَّاتِهِ، وَسَقَى عِظَامَهُ شَآبِيبَ[1] الرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ ـ، اقْتَطَفْتُ نُبْذَةً ـ أَوْ لَمْحَةً ـ مِنْ أَخْلَاقِهِ الآسِرَةِ، وَشَمَائِلِه البَاهِرَةِ، وَمَوَاقِفِهِ العَامِرَةِ، ثُمَّ هَا هُوَ يُخَاطِبُ تِلْكَ الوُجُوهَ النَّيِّرَةَ الَّتِي تَشَرَّفَتْ بِالتَّلْمَذَةِ عَلَيْهِ، وَالعُيُونَ الَّتِي اكْتَحَلَتْ بِرُؤْيَتِهِ قَائِلًا: «اعْذُرُونِي يَا أَبْنَائِي فَلَقَدْ سَاءَتْ أَخْلَاقِي»!.

يُبَجَّلُ إِجْلَالًا، وَيُكْبَرُ هَيْبَةً ○●○ أَصِيلُ الحِجَا فِيهِ تُقَىً وَتَوَاضُعُ
إِذَا ارْتَدَّ صَمْتًا فَالرُّءُوسُ نَوَاكِسُ ○●○ وَإِنْ قَالَ فَالأَعْنَاقُ صُورٌ خَوَاضِعُ[2]

---

(1) شآبيب: جمعُ شُؤْبُوبٍ، وهو الدُّفعة الشَّديدة من المطر.

(2) «ديوان البُحْتُرِيِّ» (1/48).

ذُرِّيَّتُه

لَهُ مِنَ الوَلَدِ بِنْتَانِ، كِلَاهُمَا مِنْ زَوْجَتِهِ الأُولَى أُمِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَهُمَا:

1- الشَّيْخَةُ أُمُّ عَبْدِ اللهِ عَائِشَةُ بِنْتُ الشَّيْخِ مُقْبِلٍ:

وَهِيَ طَالِبَةُ عِلْمٍ قَوِيَّةٌ مُتَحَلِّيَةٌ بِأَخْلاقِ العُلَمَاءِ.

تُرْسِلُ أَهْلَكَ لِطَلَبِ العِلْمِ عِنْدَهَا، فَتَرْجِعُ تُطْرِبُ سَمْعَكَ بِذِكْرِ صِفَاتٍ اجْتَمَعَتْ ثُمَّ ائْتَلَفَتْ فِي شَخْصِهَا، قَدْ مَلَكَتْ قُلُوبَ تِلْمِيذَاتِهَا، وَأَسَرَتْ نُفُوسَهُنَّ، فَلَا تَذْكُرُ مَعَهَا غَيْرَهَا.

لَا تَذْكُرِي الكُتُبَ السَّوَالِفَ[1] قَبْلَهُمَا ○●○ طَلَعَ الصَّبَاحُ فَأَطْفِئِي القِنْدِيلَا

وَلَهَا هِمَّةٌ عَالِيَةٌ فِي طَلَبِ العِلْمِ وَتَعْلِيمِهِ، تَحْفَظُ القُرْآنَ، وَأَلْفِيَّةَ ابْنِ مَالِكٍ، وَبُلُوغَ المَرَامِ، وَمُتُونًا أُخْرَى[2].

ذَكَرَهَا وَالِدُهَا فِي تَرْجَمَتِهِ، فَقَالَ: «الشَّيْخَةُ الصَّالِحَةُ أُمُّ عَبْدِ اللهِ مُحِبَّةٌ لِلسُّنَّةِ وَدَاعِيَةٌ إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَبَاحِثَةٌ قَوِيَّةٌ، تُبْغِضُ التَّقْلِيدَ، وَتَحْرِصُ عَلَى مَعْرِفَةِ الدَّلِيلِ وَالعَمَلِ بِهِ، يُحِبُّهَا طَالِبَاتُهَا، وَتُحِبُّهُنَّ حُبًّا جَمًّا، وَقَدْ نَفَعَ اللهُ بِهَا طَالِبَاتِهَا وَأَصْبَحَ بَعْضُهُنَّ دَاعِيَاتٍ إِلَى اللهِ»[3].

وَقَالَ الشَّيْخُ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ الحَجُورِيُّ - حَفِظَهُ اللهُ -: «هِيَ ذِرْوَةُ مَدْرَسَةِ النِّسَاءِ فِي دَارِ الحَدِيثِ، وَمُدَرِّسَةٌ قَوِيَّةٌ»[4].

---

(1) السوالف: الخوالي المواضي.
(2) «الطبقات» (193).
(3) «الترجمة» (69).
(4) «الطبقات» (193).

♦ وَلَهَا مِنَ المُؤَلَّفَاتِ:

1 - «الصَّحِيحُ المُسْنَدُ فِي الشَّمَائِلِ المُحَمَّدِيَّةِ».

2 - «الجَامِعُ الصَّحِيحُ فِي العِلْمِ وَفَضْلِهِ».

3 - تَحْقِيقُ «السُّنَّةِ» لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ.

4 - «الصَّحِيحُ المُسْنَدُ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ».

5 - «نَصِيحَتِي لِلنِّسَاءِ».

6 - «نُبْذَةٌ مُخْتَصَرَةٌ مِنْ حَيَاةِ وَالِدِي».

2 - أُمُّ أَيُّوبَ بِنْتُ الشَّيْخِ مُقْبِلٍ:

مُرَبِّيَةٌ فَاضِلَةٌ، تَتَمَثَّلُ فِيهَا صِفَاتُ التَّرْبِيَةِ بِكَامِلِ مَعَانِيهَا، ذَكَرَهَا وَالِدُهَا فِي التَّرْجَمَةِ، فَقَالَ: «فَاضِلَةٌ تَقِيَّةٌ مُحِبَّةٌ لِلسُّنَّةِ وَلِأَهْلِ السُّنَّةِ، ذَاتُ خُلُقٍ فَاضِلٍ، تُدَرِّسُ أَخَوَاتِهَا بِحُدُودِ مَا تَسْتَطِيعُ مَعَ شَوَاغِلِهَا».

قُلْتُ: إِذَا كَانَ لَمْ يَشْغَلْهَا إِلَّا بَيْتُهَا، وَتَرْبِيَةُ أَوْلَادِهَا عَلَى الدِّينِ وَالخُلُقِ الحَسَنِ، وَالاهْتِمَامِ بِزَوْجِهَا - فَهَنِيئًا لَهَا.

هَنِيئًا مَرِيئًا وَالِدَاكَ عَلَيْهِمَا ○●○ مَلَابِسُ أَنْوَارٍ مِنَ التَّاجِ وَالحُلَى[1]
فَمَا ظَنُّكُمْ بِالنَّجْلِ[2] عِنْدَ جَزَائِهِ ○●○ أُولَئِكَ أَهْلُ اللهِ وَالصَّفْوَةِ المَلَا[3]

وَالمَرْأَةُ لَا تَجِدُ لَذَّةَ السَّعَادَةِ إِلَّا فِي بَيْتِهَا، وَبَيْنَ أَطْفَالِهَا:

(1) الحُلَى - بِالضَّمِّ وَالكَسْرِ -: جَمْعُ حِلْيَةٍ، وَهِيَ مَا يُزَيَّنُ بِهِ مِنْ مَصُوغِ المَعْدِنِيَّاتِ أَوِ الحِجَارَةِ.

(2) النَّجْل - بالفتح -: الوَلَد.

(3) المَلَا - بفتحتين -: الأشراف، أصلها: المَلَأ، فَخُفِّفَتِ الهمزةُ، فقُلِبتْ ألفًا.

وَأَطْيَبُ سَاعِ[1] الحَيَاةِ لَدَيَّا ००० عَشِيَّةَ أَخْلُو إِلَى وَلَدَيَّا
مَتَى أَلِجُ[2] البَابَ يَهْتِفُ بِاسْمِي ००० الفَطِيمُ وَيَحْبُو الرَّضِيعُ إِلَيَّا
فَأُجْلِسُ هَذَا إِلَى جَانِبِي ००० وَأُجْلِسُ ذَاكَ عَلَى رُكْبَتَيَّا
هُنَالِكَ أَنْسَى مَتَاعِبَ يَوْمِي ००० حَتَّى كَأَنِّي لَمْ أَلْقَ شَيَّا
وَكُلُّ شَرَابٍ أَرَاهُ لَذِيذَا ००० وَكُلُّ طَعَامٍ أَرَاهُ شَهِيَّا
وَمَا حَاجَتِي لِغِدَاءٍ وَمَاءٍ؟! ००० بِحَسْبِي طِفْلَايَ زَادًا وَرِيَّا
وَأَيَّةُ نَجْوَى كَنَجْوَايَ طِفْلَيَّ ००० يَقُولَانِ أُمِّيَ أَقُولُ بُنَيَّا؟!



(1) ساع: جمعُ ساعة كحاجةٍ وحاجٍ.
(2) ألج: أدخل، وبابُهُ جلس.

نِسَاؤُهُ

1- أُمُّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ:

وَهِيَ أُمُّ أَوْلَادِهِ، هَاجَرَت مَعَهُ إِلَى أَرْضِ الحَرَمَيْنِ، وَقَدْ تُوُفِّيَتْ قَبْلَهُ بِنَحْوٍ مِنْ شَهْرٍ وَنِصْفٍ ـ رَحِمَهَا اللهُ ـ.

2- أُمُّ شُعَيْبٍ الوَادْعِيَّةُ:

وَهِيَ طَالِبَةُ عِلْمٍ قَوِيَّةٌ، أَدَبُهَا «الأَدَبُ النَّبَوِيُّ»، كِتَابٌ مَفْتُوحٌ، وَسِفْرٌ مَشْرُوحٌ. ذَاتُ هِمَّةٍ عَالِيَةٍ فِي طَلَبِ العِلْمِ وَتَعْلِيمِهِ، تَحْفَظُ القُرْآنَ، وَالأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةَ، ومُلْحَةَ الإِعْرَابِ، وَمَنْظُومَةَ العَمْرِيطِيِّ فِي الأُصُولِ[1].

ذَكَرَهَا الشَّيْخُ فِي تَرْجَمَتِهِ[2]، فَقَالَ: «فَاضِلَةٌ تَقِيَّةٌ مُحِبَّةٌ لِلسُّنَّةِ وَلِأَهْلِ السُّنَّةِ، ذَاتُ خُلُقٍ فَاضِلٍ، تُدَرِّسُ أَخَوَاتِهَا».

قُلْتُ: قَدْ تَنَاقَلَتِ الأَخْبَارُ وَتَوَاطَأَتِ الأَلْسِنَةُ بِذِكْرِ فَضَائِلَ لَهَا وَمَحَاسِنَ، حَتَّى لَكَأَنِّي بِالبُحْتُرِيِّ يَعْنِيهَا:

فَلَكَ الفَضَائِلُ فِي فُنُونِ مَحَاسِنٍ ○●○ بِيضًا لِإِفْرَاطِ الخِلَالِ وَشِيمَا
جُمِعَتْ عَلَيْكَ وَلِلأَنَامِ مُفَرَّقٌ ○●○ مِنْهَا، فَأَفْرَادًا أُقْسِمْنَ وَتُومَا
مَا نَالَ لَيْثُ الغَابِ إِلَّا بَعْضَهَا ○●○ حَتَّى رَعَى مُهَجَ النُّفُوسِ جَمِيمَا
شَارَكْتَهُ فِي البَأْسِ، ثُمَّ فَضَلْتَهُ ○●○ بِالجُودِ مَحْقُوقًا بِذَاكَ زَعِيمَا

(1) انظر «الطبقات» (ص192) للشيخ يحيى الحَجُورِيِّ.

(2) انظر «الترجمة» (ص70).

وَلَهَا مِنَ المُؤَلَّفَاتِ:

1 - «الصَّحِيحُ المُسْنَدُ مِنَ الأَدَبِ النَّبَوِيِّ».

2 - «الصَّحِيحُ المُسْنَدُ مِنْ فَضَائِلِ آلِ البَيْتِ».

3 - تَحْقِيقِ مُجَلَّدٍ مِنَ «المُحَلَّى» لِابْنِ حَزْمٍ.

3 - **أُمُّ سَلَمَةَ العُمْرَانِيَّةُ :**

هِيَ طَالِبَةُ عِلْمٍ قَوِيَّةٌ، ذَاتُ عِلْمٍ فِي حِلْمٍ، وَحَزْمٍ فِي عَزْمٍ، وَغَيْرَةٍ عَلَى الحَقِّ، وَوَضَاءَةِ أَخْلَاقٍ فِي مَتَانَةِ دِينٍ، عَزِيزَةُ النَّفْسِ، غَنِيَّةُ القَلْبِ، أَدِيبَةٌ أَدَبُهَا «صَحِيحُ الأَدَبِ المُفْرَدِ».

«ذَاتُ هِمَّةٍ عَالِيَةٍ فِي طَلَبِ العِلْمِ وَتَعْلِيمِهِ، تَحْفَظُ القُرْآنَ، وَمُلْحَةَ الإِعْرَابِ، وَنَظْمَ الوَرَقَاتِ، وَالبَيْقُونِيَّةَ، وَمُثَلَّثَ قُطْرُبٍ»[1].

ذَكَرَهَا الشَّيْخُ فِي تَرْجَمَتِهِ، فَقَالَ: «فَاضِلَةٌ زَاهِدَةٌ، دَاعِيَةٌ إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ مَعَ خُلُقٍ فَاضِلٍ، وَتُدَرِّسُ أَخَوَاتِهَا»[2].

وَلَهَا مِنَ المُؤَلَّفَاتِ:

1 - «الاِنْتِصَارُ لِلْمُؤْمِنَاتِ».

2 - «صَحِيحُ الأَدَبِ المُفْرَدِ».

3 - «الرَّدُّ عَلَى الزِّنْدَانِيِّ».

4 - «الصَّحِيحُ المُسْنَدُ فِي الفَرَجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ».

5 - حَقَّقَتْ مُجَلَّدًا مِنْ «فَتْحِ البَارِي».

6 - «الرِّحْلَةُ الأَخِيرَةُ لِإِمَامِ الجَزِيرَةِ».

(1) انظر «الطبقات» (192).

(2) انظر «الترجمة» (ص70).

طَلَبُهُ لِلْعِلْمِ

♦ **الدِّرَاسَةُ فِي الكَتَاتِيبِ، ثُمَّ سَفَرُهُ إِلَى أَرْضِ الحَرَمَيْنِ لِلْمَرَّةِ الأُولَى:**

لَقَدْ حَبَّبَ اللهُ لَهُ العِلْمَ مِنَ الصِّغَرِ كَمَا قَالَ ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ(1)، فَبَدَأَ تَعَلُّمَهُ فِي الكَتَاتِيبِ، وَهُوَ فِي عُمْرِ الثَّامِنَةِ، فَتَعَلَّمَ القِرَاءَةَ وَالكِتَابَةَ، وَحَفِظَ نِصْفَ القُرْآنِ، ثُمَّ الْتَحَقَ بِجَامِعِ الهَادِي، إِلَا أَنَّهُ لَمْ يَجِدْ مَنْ يُعِينُهُ عَلَى مُوَاصَلَةِ الطَّلَبِ(2)، فَضَاعَ مِنْ عُمُرِهِ نَحْوٌ مِنْ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً كَثِيرًا مَا كَانَ يَتَحَسَّرُ عَلَيْهَا، ثُمَّ اغْتَرَبَ فِي أَرْضِ الحَرَمَيْنِ وَنَجِدٍ، وَتَأَثَّرَ بِبَعْضِ الوَاعِظِينَ، فَاسْتَرْشَدَهُ الشَّيْخُ، فَأَرْشَدَهُ إِلَى شِرَاءِ «صَحِيحِ البُخَارِيِّ»، وَ«رِيَاضِ الصَّالِحِينَ»، وَ«بُلُوغِ المَرَامِ»، وَ«فَتْحِ المَجِيدِ»، وَأَعْطَاهُ مُقَرَّرَ التَّوْحِيدِ، وَكَانَ حِينَهَا يَعْمَلُ حَارِسًا فِي عِمَارَةٍ فِي الحَجُونِ بِمَكَّةَ، فَأَقْبَلَ عَلَى قِرَاءَةِ تِلْكَ الكُتُبِ، وَكَانَتْ تَعْلَقُ بِذِهْنِهِ، سِيَّمَا «فَتْحِ المَجِيدِ»؛ لِأَنَّ العَمَلَ فِي بَلَدِهِ عَلَى خِلَافِ مَا فِيهِ.

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى اليَمَنِ، فَكَانَ لَا يَدَعُ مُنْكَرًا إِلَا أَنْكَرَهُ، وَخَاصَّةً فِي أُمُورِ العَقِيدَةِ: كَدُعَاءِ غَيْرِ اللهِ، وَمُمَارَسَةِ السِّحْرِ وَالشَّعْوَذَةِ، وَالاعْتِقَادِ فِي الجِنِّ وَالكَهَانَةِ، وَشَدِّ الرِّحَالِ إِلَى القُبُورِ، وَالطَّوَافِ حَوْلَهَا، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ تَكَالُبِ قُوَى الشِّيعَةِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الدَّوْلَةَ كَانَتْ لَهُمْ، فَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِهِ: إِمَّا أَنْ تَمْنَعُوهُ وَإِمَّا أَنْ نَسْجُنَهُ، ثُمَّ إِنَّهُمْ خَافُوا مِنْهُ، فَقَرَّرُوا إِدْخَالَهُ جَامِعَ الهَادِي بِقَصْدِ إِزَالَةِ مَا عَلَقَ بِقَلْبِهِ مِنَ الشُّبَهِ، لَكِنْ هَيْهَاتَ، فَقَدْ اسْتَقَرَّتِ العَقِيدَةُ الصَّحِيحَةُ فِي قَلْبِهِ.

---

(1) شريط «السيرة الذاتية» للشيخ.

(2) لَعَلَّ في صَرْفِ الشَّيْخَ عَنْ أَهْلِ البِدَعِ خَيْرًا كَثِيرًا؛ لأَنَّهُ في بدايةِ عُمُرِهِ لم يَكُنْ قَدْ تَضَلَّعَ بالعِلْمِ الَّذي يَحْمِيهِ مِنْ شُبَهِ أَهْلِ البِدَعِ.

فَهَيْهَاتَ[1] هَيْهَاتَ العَقِيقُ[2] وَمَنْ بِهِ ○●○ وَهَيْهَـاتَ خِـلٌّ[3] بِـالعَقِيقِ نُوَاصِـلُهْ

وَقَالَ الشَّيْخُ مُسْتَشْهِدًا لِنَفْسِهِ:

عَرَفْتُ هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الهَوَى ○●○ فَـصَادَفَ قَلْبًـا خَالِيًـا فَتَمَكَّنَـا

♦ طَلَبُهُ لِلْعِلْمِ عِنْدَ الشِّيعَةِ :

دَرَسَ عِنْدَ الشِّيْعَةِ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ، وَكَانَ قَدْ أَخْفَى عَقِيدَتَهُ لِقِلَّةِ النَّاصِرِ وَالمُعِينِ، وَمِنَ الكُتُبِ الَّتِي دَرَسَهَا عِنْدَ الشِّيعَةِ:

1 - «العِقْدُ الثَّمِينُ».

2 - «الثَّلاثُونَ المَسْأَلَةَ وَشَرْحُهَا» لِحَابِسٍ.

3 - «الفَرَائِضُ».

4 - «بُلُوغُ المَرَامِ» لَكِنَ هَذَا الكِتَابُ قَدْ مُنِعَ بَعْدَ الشُّرُوعِ فِيهِ.

5 - «الآجُرُّومِيَّةِ».

6 - «قَطْرُ النَّدَى» دَرَسَهُ مِرَارًا.

7 - «مَتْنُ الأَزْهَارِ».

وَالشَّيْخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ - كَمَا يَقُولُ عَنْ نَفْسِهِ - لَمْ يَسْتَفِدْ مِنْ تِلْكَ الكُتُبِ شَيْئًا عَدَا النَّحْوِ، فَقَدْ كَانَ يُقْبِلُ عَلَيْهِ بِنَهَمٍ شَدِيدٍ.

---

(1) هَيْهَات: اسْمُ فِعْلٍ ماضٍ بمعنى: بَعُدَ جِدًّا.

(2) العَقِيق: وادٍ بالحجاز؛ لأَنَّه عُقَّ (أَيْ: شُقَّ).

(3) الخِلُّ - بالكسر -: الصَّدِيق، والجمعُ أخلال.

♦ طَلَبُهُ لِلْعِلْمِ فِي نَجْرَان :

سَافَرَ الشَّيْخُ إِلَى نَجْرَانَ، فَدَرَسَ عِنْدَ أَبِي الحُسَيْنِ مَجْدِ الدِّينِ المُؤَيِّدِي[1] قَرَابَةَ سَنَتَيْنِ، وَكَانَ يَتَذَاكَرُ مَعَهُ، وَجُلَّ مَا اسْتَفَادَهُ مِنْهُ كَانَ فِي عُلُومِ الآلَةِ، وَخَاصَّةً النَّحْوَ[2].

♦ تَوَجُّهُهُ إِلَى الرِّيَاضِ لِلْعَمَلِ ثُمَّ غَيَّرَ نِيَّتَهُ لِطَلَبِ العِلْمِ :

اتَّجَهَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إِلَى الرِّيَاضِ لِقَصْدِ العَمَلِ، لَكِنَّهُ فِي أَثْنَاءِ سَيْرِهِ حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ أَلَّا يُضَيِّعَ مَا قَدِ اسْتَفَادَهُ[3] مِنَ العِلْمِ، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يُوَاصِلَ سَيْرَهُ فِي التَّعْلِيمِ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِهِ أَهْلُ بَلَدِهِ[4]، وَلَمَّا وَصَلَ أَرْضَ نَجْدٍ، الْتَحَقَ بِمَدْرَسَةِ تَحْفِيظِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، وَكَانَ القَائِمُ عَلَيْهَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ الحِدَئِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَكَانَ مُكْرِمًا لِلشَّيْخِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَمِرَّ كَثِيرًا بِسَبَبِ جَوِّ أَرْضِ نَجْدٍ.

♦ تَوَجُّهُهُ إِلَى مَكَّةَ لِطَلَبِ العِلْمِ، ثُمَّ لِلْعَمَلِ :

اتَّجَهَ إِلَى مَكَّةَ، فَكَانَ يَعْمَلُ بِالنَّهَارِ، وَيَطْلُبُ العِلْمَ فِي اللَّيْلِ إِلَى نِصْفِهِ، وَرُبَّمَا إِلَى السَّحَرِ وَيَقُولُ: كُنْتُ أَجِدُ لَذَّةً كَأَنَّنِي مَلِكٌ.

---

(1) مجد الدين كان أعلمَ شِيعيٍّ في اليَمَنِ، ويُعْتَبَرُ حامِلَ المَذْهَبِ الهادويِّ، فحذارِ من طلبِ العِلْمِ عِنْدَ أَهْلِ البِدَعِ، ولعلَّ الشَّيْخ كان مُضْطَرًّا.

(2) علوم الآلة، وما أدراك ما علوم الآلة؟!، هي الطريقة المُعَبِّدَةُ لفَهْمِ العُلُومِ الشَّرْعِيَّة.

قال أستاذنا عبده العماد ـ حفظه الله ـ:

النَّحْوُ مِفْتَاحُ العُلُومِ، وفَهْمُهُ ○●○ يَكْفِي العُقُولَ مَشَقَّةً وَعَنَاءَا
فَافْهَمْهُ واحْرِصْ أَنْ تنالَ زِمَامَهُ ○●○ يَجْعَلْ طَرِيقَكَ للعُلُومِ ضِياءَا

(3) على طَالِبِ العِلْمِ أَنْ يَحْرِصَ عَلَى نَشْرِ العِلْمِ الَّذِي تَعَلَّمَه؛ فإنَّ العِلْمَ كما قال الأَلْبِيرِيُّ:

يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الإِنْفَاقِ مِنْهُ ○●○ ويَنْقُصُ إِنْ بِهِ كفًّا شَدَدْتَا

(4) انظر شريط «السيرة الذاتية».

وَكَثِيرًا مَا كَانَ يَتَرَنَّمُ بِأَبْيَاتٍ قَالَهَا الزَّمَخْشَرِيُّ:

سَهَرِي لِتَنْقِيحِ العُلُومِ أَلَذُّ لِي ○●○ مِنْ وُصْلِ غَانِيَةٍ وَطِيبِ عِنَاقِ
وَدُمُوعُ عَيْنِي فَوْقَ قِرْطَاسِي لَهَا ○●○ هَمْسٌ كَهَمْسِ الحُبِّ فِي الأَعْمَاقِ

♦ الَّذِينَ دَرَسَ عَلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ يَلْتَحِقَ بِمَعْهَدِ الحَرَمِ المَكِّيِّ:

دَرَسَ الشَّيْخُ فِي هَذِهِ الفَتْرَةِ عَلَى الشَّيْخِ يَحْيَى بَنِ عُثْمَانَ البَاكِسْتَانِيِّ فِي «تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ»، وَ«الصَّحِيحَيْنِ».

وَدَرَسَ أَيْضًا عِنْدَ القَاضِي الأَشْوَلِ فِي «سُبُلِ السَّلَامِ»، وَكَانَ يُدَرِّسُهُ فِي أَيِّ شَيْءٍ يَطْلُبُهُ مِنْهُ، وَدَرَسَ عِنْدَ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الشَّاحِذِيِّ المحويتِيِّ.

♦ التِحَاقُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِمَعْهَدِ الحَرَمِ:

ثُمَّ إِنَّ الشَّيْخَ بَعْدَ ذَلِكَ دَخَلَ مَعْهَدَ الحَرَمِ المَكِّيِّ، بَعْدَ أَنْ أُجْرِيَ لَهُ اخْتِبَارُ القَبُولِ، وَكَانَ المَسْئُولُ عَلَيْهِ الشَّيْخَ عَبْدَ اللهِ بْنِ حُمَيْدٍ.

وَمِنْ أَبْرَزَ مَنْ تَتَلْمَذَ عَلَيْهِمْ فِي المَعْهَدِ: الشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ بْنُ حُمَيْدٍ، وَالشَّيْخُ عَبْدُ العَزِيزِ السَّبِيلُ.

وَاسْتَمَرَّ فِي المَعْهَدِ سَبْعَ سَنَوَاتٍ، حَصَلَ مِنْ خِلَالِهَا عَلَى شَهَادَةِ المُتَوَسِّطَةِ وَالثَّانَوِيَّةِ.

♦ اسْتِفَادَةُ الشَّيْخِ مِنْ دُرُوسِ الحَرَمِ المَكِّيِّ:

كَانَ إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ يَحْضُرُ دُرُوسَ الحَرَمِ المَكِّيِّ لِبَعْضِ المَشَايِخِ، أَمْثَالِ: الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الصُّومَالِيِّ، وَالشَّيْخِ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ رَاشِدٍ النَّجْدِيِّ وَغَيْرِهِمَا.

♦ التِحَاقُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِالجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ:

ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ كُلِّيَّةِ الدَّعْوَةِ وَأُصُولِ الدِّينِ، وَجَاءَتِ العُطْلَةُ، فَانْتَسَبَ إِلَى كُلِّيَّةِ الشَّرِيعَةِ؛ حِرْصًا مِنْهُ عَلَى وَقْتِهِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى كِبَرِ هِمَّتِهِ.

لَـهُ هِمَّـةٌ لَا مُنْتَهَـى لِكِبَارِهَـا ○●○ وَهِمَّتُـهُ الصُّغْرَى أَجَلُّ مِنَ الدَّهْرِ

وَاسْتَمَرَّ فِي الكُلِّيَّتَيْنِ سَبْعَ سَنَوَاتٍ حَصَلَ مِنْ خِلَالِهَا عَلَى شَهَادَتَيْنِ.

♦ اسْتِفَادَةُ الشَّيْخِ مِنْ دُرُوسِ الحَرَمِ المَدَنِيِّ :

كَانَ الشَّيْخُ يَحْضُرُ دُرُوسَ الحَرَمِ المَدَنِيِّ لِبَعْضِ العُلَمَاءِ، أَمْثَالِ: الشَّيْخِ ابْنِ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، والشَّيْخِ الأَلْبَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَمِنْ مَشَايِخِهِ فِي الكُلِّيَّتَيْنِ:

1 – حَمَّادٌ الأَنْصَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

2 – السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ الحَكِيمُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

3 – مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ بْنِ فَايِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

مُتَنَقِّـلٌ فِي سُـؤْدَدٍ مِـنْ سُـؤْدَدٍ ○●○ مِثْلَ الهِـلَالِ جَـرَى إِلَى اسْتِكْمَـالِهِ

♦ تَخَصُّصُ الشَّيْخِ :

لَمَّا فُتِحَ بَابُ التَّخَصُّصِ، تَخَصَّصَ فِي عِلْمِ الحَدِيثِ، وَمُنِحَ الشَّهَادَةَ العَالِيَةَ (اللِيسَانِسَ)، ثُمَّ التَحَقَ بِقِسْمِ الدِّرَاسَاتِ العُلْيَا، وَنَجَحَ فِي السَّنَةِ التَحْضِيرِيَّةِ، ثُمَّ عَكَفَ عَلَى تَحْضِيرِ «الإِلْزَامَاتِ وَالتَّتَبُّعِ» لِلدَّارَقُطْنِيِّ، وَحَصَلَ عَلَى دَرَجَةِ العَالِمِيَّةِ (المَاجِسْتِيرِ).

وَمِنْ أَبْرَزِ مَشَايِخِهِ فِي الدِّرَاسَةِ العُلْيَا: مُحَمَّدٌ الأَمِينُ المِصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

♦ اسْتِفَادَةُ الشَّيْخِ مِنَ الكُتُبِ :

كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: «اعْلَمُوا أَنَّ أَكْثَرَ اسْتِفَادَتِي مِنَ الكُتُبِ»، فَلِلهِ دَرُّهُ مِنْ رَجُلٍ بَصِيرٍ بِالعَوَاقِبِ حَتَّى لَكَأَنَّ الشَّاعِرُ يَعْنِيهِ بِقَوْلِهِ:

بَصُرْتُ بِالرَّاحَةِ الكُبْرَى فَلَمْ أَرَهَا ○●○ تُنَالُ إِلَا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ

ثُمَّ كَانَ مَاذَا؟، لَقَدْ كَانَ فِي عَصْرِنَا كَمَا قَالَ القَائِلُ:

هُــوَ حُجَّــةٌ لِلَّهِ قَــاهِرَةٌ ○●○ هُــوَ بَيْنَنَــا أُعْجُوبَــةُ الــدَّهْرِ

فَهَلْ مِنْ مُشَمِّرٍ؟

اطْلُبِ العِلْمَ وَلَا تَكْسَلْ؛ فَمَا ○●○ أَبْعَدَ الخَيْرَ عَلَى أَهْلِ الكَسَلْ!

وَاحْتَفِلْ لِلْفِقْهِ فِي الدِّينِ، وَلَا ○●○ تَشْتَغِلْ عَنْهُ بِمَالٍ وَخَوَلْ[2]

وَاهْجُرِ النَّوْمَ وَحَصِّلْهُ، فَمَنْ ○●○ يَعْرِفِ المَطْلُوبَ يَحْقِرْ مَا بَذَلْ

لَا تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَرْبَابُهُ ○●○ كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَلْ

فِي ازْدِيَادِ العِلْمِ إِرْغَامُ[1] العِدَا ○●○ وَجَمَالُ العِلْمِ إِصْلَاحُ العَمَلْ



(1) إرغام: إذلال.

(2) الخَوَل ـ بفتحتين ـ : ما أعطاك الله ـ تعالى ـ مِنَ النِّعَمِ، والعَبيدِ، والإماءِ، وغيرِهم من الحاشيةِ، يُطلَقُ على الواحدِ والجَمْعِ، والمُذَكَّرِ والمُؤنَّثِ.

مَشَايِخُه

1- العَلَّامَةُ المُحدِّثُ نَاصِرُ الدِّيْنِ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، كَانَ الشَّيْخُ يَحْضرُ جلَسَاتِهِ الخَاصَّةَ بِطَلَبَةِ العِلْمِ: «قَوَاعِدُ فِي الحَدِيثِ».

2- العَلَّامَةُ عَبْدُ العَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بَازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، كَانَ الشَّيْخ يَحْضُرُ دُرُوسِهِ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» فِي الحَرَمِ المَدَنِيِّ.

3- مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الصُّومَالِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، اسْتَفَادَ مِنْهُ كَثِيرًا، سِيَّمَا فِي عِلْمِ الحَدِيثِ.

4- عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حُمَيْدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

5- حَمَّادُ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَنْصَارِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

6- يَحْيَى بْنُ عُثْمَانَ البَاكِسْتَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

7- عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ رَاشِدٍ النَّجْدِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

8- القَاضِي يَحْيَى الأَشْوَلِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

9- عَبْدُ الرَّزَّاقِ الشَّاحِذِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

10- مُحَمَّدٌ السَّبِيلُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

11- مُحَمَّدٌ الأَمِينُ المِصْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

12- مُحَمَّدٌ الأَمِينُ الشِّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

13- عَبْدُ المُحْسِنِ العَبَّادُ - حفظه الله - .

14- عَبْدُ العَظِيمِ فَيَّاضُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

15- مُحَمَّدٌ تَقِيُّ الدِّينِ الهِلَالِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

16- بَدِيعُ الدِّينِ الرَّاشِدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

17- عَبْدُ العَزِيزِ السَّبِيلُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

18- مَحْمُود عَبْدُ الوَهَّابِ فَايِد رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

19- السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ الحَكِيمُ المِصْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

♦ مَشَايِخِهِ فِي مَدْرَسَةِ التَّشَيُّع :

1- أَبُو الحُسَيْنِ مَجْدُ الدِّينِ المُؤَيْدِيُّ.

2- إِسْمَاعِيلُ حَطَبَةٌ.

3- مُحَمَّدُ بْنُ حَسَنٍ المُتَمَيِّزُ.

4- قَاسِمُ بْنُ يَحْيَى شُوَّيْل.



ثَنَاءُ العُلَمَاءِ عَلَيْهِ

1- ثَنَاءُ العَلَّامَةِ المُحَدِّثِ مُحَمَّدٍ نَاصِرِ الدِّينِ الأَلْبَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «بِالنِّسْبَةِ لِلشَّيْخِ مُقْبِلٍ فَأَهْلُ مَكَّةَ أَدْرَى بِشِعَابِهَا، وَالأَخْبَارُ الَّتِي تَأْتِينَا مِنْكُمْ أَكْبَرُ شَهَادَةً، لَكِنَّ اللهَ قَدْ وَفَّقَهُ تَوْفِيقًا رُبَّمَا لَا يُعْرَفُ لَهُ مَثِيلٌ بِالنِّسْبَةِ لِبَعْضِ الدُّعَاةِ الظَّاهِرِينَ اليَوْمَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُوَفِّقَ المُسْلِمِينَ، لِيَتَعَرَّفُوا أَوَّلًا عَلَى دِينِهِمْ، وَأَنْ يَكُونُوا بَعِيدِينَ عَنِ اتِّبَاعِ أَهْوَائِهِمِ»(1).

2- ثَنَاءُ العَلَّامَةِ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ كَثِيرَ الثَّنَاءِ عَلَى الشَّيْخِ، وَكَانَ يَنْصَحُ الزَّائِرِينَ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ بِالالتِفَافِ حَوْلَهُ وَالاسْتِفَادَةِ مِنْهُ.

وَقَدْ سُئِلَ فِي شَرِيطٍ لَهُ بِعُنْوَانِ: «فَضْلُ طَلَبِ العِلْمِ»، سَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ: أَيْنَ يَذْهَبُ لِطَلَبِ العِلْمِ؟ فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اذْهَبْ إِلَى الشَّيْخِ مُقْبِلٍ».

وَلَمَّا حَدَّثَ عَنْ سَيْرِ دَعْوَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي اليَمَنِ، قَالَ: «هَذِهِ ثَمَرَةٌ مِنْ ثَمَرَاتِ الصِّدْقِ وَالإِخْلَاصِ».

وَيُعِينُ طَلَبَةَ الشَّيْخِ عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ، وَيَقْبَلُ تَزْكِيَاتِ الشَّيْخِ:

يَقُولُ الشَّيْخُ مُقْبِلٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِي ذَاتِ مَرَّةٍ وَاحِدٌ مِنْ صَنْعَاءَ تَهَرَّبَ إِلَى الرِّيَاضِ، وَقَالَ لَهُ: يَا شَيْخُ، أَنَا مِنَ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَلَيْسَ عِنْدِي أَيُّ وَرَقَةٍ، فَقَالَ لَهُ: أَثْبِتْ لِي أَنَّكَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَأَخْرَجَ وَرَقَةً مِنْ عِنْدِي تَعْرِيفًا بِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الشَّيْخُ وَرَقَةً يَمْشِي بِهَا أَيْنَمَا يُرِيدُ»(2).

---

(1) «سلسلة الهدى والنور» شريط رقم (1/851).

(2) «رِثاءُ الشيخ لابْنِ بازٍ» (ص16).

وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ العَسْلَانِيُّ: «ذَهَبْتُ إِلَى الشَّيْخِ ابْنِ بَازٍ، فَقُلْتُ لَهُ: أُرِيدُ مِنْكَ - يَا شَيْخُ - تَزْكِيَةً لِلْجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، فَسَأَلَنِي: مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟. فَقُلْتُ: مِنَ اليَمَنِ، فَقَالَ: عِنْدَكُمُ الشَّيْخُ مُقْبِلٌ، هَذَا رَجُلٌ أَعْلَمُ مِنِّي مُحَدِّثٌ، اذْهَبْ إِلَيْهِ»[1].

3- ثَنَاءُ العَلَّامَةِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ العُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

سَأَلَهُ سَائِلٌ عَنِ الشَّيْخِ مُقْبِلٍ: فَقَالَ: «هُوَ يَسْأَلُ عَنِّي».

وَسُئِلَ ذَاتَ مَرَّةٍ بِمِنًى: هُنَاكَ مَنْ أَخْبَرَ الشَّيْخَ أَنَّكَ تَكَلَّمْتَ فِيهِ، فَهَلْ هَذَا صَحِيحٌ؟، فَقَالَ: لَيْسَ هَذَا بِصَحِيحٍ، وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَعْتَقِدُ أَنَّ الشَّيْخَ مُقْبِلًا إِمَامٌ مِنَ الأَئِمَّةِ[2].

وَسَمِعَهُ الشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُثْمَانَ الذَّمَارِيُّ - حَفِظَهُ اللهُ - يَقُولُ عَنِ الشَّيْخِ مُقْبِلٍ: «إِمَامٌ، إِمَامٌ، إِمَامٌ».

4- ثَنَاءُ العَلَّامَةِ حَمَّادٍ الأَنْصَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَالَ الإِمَامُ العَلَّامَةِ حَمَّادُ الأَنْصَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ مُقْبِلًا الوَادِعِيَّ تِلْمِيذِي، وَأَنَا الَّذِي اخْتَرْتُ لَهُ المَوْضُوعَ فِي المَاجِسْتِيرِ، وَكَانَ يَقْرَأُ عَلَيَّ فِي البَيْتِ فِي أَيَّامِ الحَرَّةِ الشَّرْقِيَّةِ، وَكُنْتُ أَقُولُ لَهُ أَرْجُو أَنْ تَكُونَ فِي اليَمَنِ فِي هَذَا الزَّمَانِ كَالشَّوْكَانِيِّ فِي زَمَنِهِ، وَقَدْ كَانَ مُقْبِلٌ تِلْمِيذًا مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ فِي النَّشَاطِ وَطَلَبِ العِلْمِ»[3] اهـ.

5- ثَنَاءُ العَلَّامَةِ صَالِحِ الفَوْزَانِ - حفظه الله -:

قَالَ - حَفِظَهُ اللهُ - فِي تَقْدِيمِهِ لِكِتَابِ «إِتْحَافِ الأُمَّةِ»: «الحَمْدُ لِلهِ، وَبَعْدُ: فَقَدِ اطَّلَعْتُ عَلَى مُحَاضَرَةٍ أَلْقَاهَا فَضِيلَةُ الشَّيْخِ مُقْبِلِ بنِ هَادِي الوَادِعِيِّ، أَلْقَاهَا فِي آخِرِ

---

(1) انظر «الإمام الألمعيُّ مقبل الوادعيُّ» (ص206).

(2) عن شريط «القول الأمين في رِثاءِ العلَّامةِ ابن عثيمين».

(3) «المجموع الثمين في ترجمة المحدث حمَّادٍ الأنصاري» (2/606 - 607).

حَيَاتِهِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فِيهَا بَيَانٌ لِلحقِّ، ورَدٌّ لِلْبَاطِلِ، وَاعْتَرَفَ بِالجَمِيلِ لِلدَّوْلَةِ السُّعُودِيةِ فِيمَا تَقُومُ بِهِ مِنْ خِدْمَةٍ لِلإِسْلامِ وَالمُسْلِمِينَ، وَهِيَ شَهَادَةُ حَقٍّ مِنْ عَالِمٍ جَلِيلٍ، فَجَزَاهُ اللهُ خيرًا عَلَى مَا قَامَ بِهِ فِي اليَمَنِ وَغَيْرِهِ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ، وَنَشْرِ العِلْمِ النَّافِعِ، وَتَصْحِيحِ العَقِيدَةِ، وَالحَثِّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالسُّنَّةِ، نَفَعَ اللهُ بِجُهُودِهِ، وَكَتَبَ لَهُ عَظِيمَ الأَجْرِ وَالثَّوَابِ»[1].

6- ثَنَاءُ العَلَّامَةِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ النَّجْمِيِّ ـ حفظه الله ـ مُفْتِي جَنُوبِ المَمْلَكَةِ:

قَالَ ـ حَفِظَهُ اللهُ ـ: «إِنَّ فَضِيلَةَ الشَّيْخِ مُقْبِلِ بنِ هَادِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَالِمٌ سَلَفِيٌّ، قَرَّرَ مَنْهَجَ السَّلَفِ فِي كُتُبِهِ، وَدَعَا إِلَيْهِ، وَعَلَّمَ تَلامِذَتَهُ هَذَا المَنْهَجَ السَّلَفِيَّ، وَهُوَ البَدْءُ بِتَوْحِيدِ اللهِ عز وجل، فِي كُلِّ دَعْوَةٍ يَزْعُمُ صَاحِبُهَا أَنَّهُ يَدْعُو إِلَى اللهِ، وَيُحَارِبُ الشِّرْكَ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ، وَنَشْرِ السُّنَّةِ، وَمُحَارَبَةِ البِدَعِ، وَقَرَّرَ فِي كُتُبِهِ الإِيمَانَ بِالأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ عَلَى الوَجْهِ اللَّائِقِ بِجَلَالِ الله سبحانه وتعالى، وَهَذَا مَا عَلِمْنَاهُ فِي دَعْوَتِهِ فِيمَا بَلَغَنَا، وَرَأَيْنَا بِأَعْيُنِنَا حِينَ زُرْنَا المَرْكَزَ الَّذِي أَسَّسَ بِقَرْيَةِ دَمَّاجٍ، فِي مُحَافَظَةِ صَعْدَةَ، وَكَذَلِكَ المَرَاكِزَ الَّتِي أَسَّسَهَا تَلَامِيذُهُ عَلَى نَهْجِهِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَكُلُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَمِنْ نَتَائِجِ دَعْوَتِهِ رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةَ الأَبْرَارِ»[2].

7- ثَنَاءُ العَلَّامَةِ رَبِيعِ بْنِ هَادِي المَدْخَلِيِّ ـ حَفِظَهُ اللهُ ـ:

قَالَ فِي نَصِيحَةٍ لِلسَّلَفِيِّينَ فِي اليَمَنِ وَرِثَائِهِ لِلشَّيْخِ: «هَذَا مَا نُعَزِّكُمْ فِي حَامِلِ لِوَاءِ السُّنَّةِ وَالتَّوْحِيدِ، ذَلِكُمُ الدَّاعِي إِلَى اللهِ المُجَدِّدُ بِحَقٍّ فِي بِلَادِ اليَمَنِ، امْتَدَّتْ آثَارُ دَعْوَتِهِ إِلَى أَصْقَاعٍ شَتَّى مِنْ أَصْقَاعِ الأَرْضِ، وَأَقُولُ لَكُمْ مَا أَعْتَقِدُهُ أَنَّ بِلَادَكُمْ ـ بَعْدَ القُرُونِ المُفَضَّلَةِ ـ عَرَفَتِ السُّنَّةَ وَمَنْهَجَ السَّلَفِ عَلَى تَفَاوُتٍ فِي الظُّهُورِ وَالقُوَّةِ، وَمَعَ

(1) «إتحاف الأمة بشرح براءة الذِّمَّة» لأبي الحسن رضوان الشهابي (ص5).

(2) من كلمةٍ له أُلقِيَتْ على طُلَّابِ دَارِ الحَدِيثِ بدمَّاج بَعْدَ مَوْتِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي مسجلَّة في شريطٍ.

ذَلِكَ فَلَا أَعرِفُ نَظِيرًا لِهَذَا العَهْدِ الَّذِي مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَهْلِ اليَمَنِ عَلَى يَدَيْ هَذَا الرَّجُلِ الصَّالِحِ المُحَدِّثِ الزَّاهِدِ الوَرِعِ، الَّذِي دَاسَ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَنَشَرَ اللهُ بِهَذِهِ الأَسْبَابِ وَغَيْرِهَا - مِمَّا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ - هَذِهِ الدَّعْوَةَ المُبَارَكَةَ فِي اليَمَنِ وَغَيْرِهَا، وَتَخَرَّجَ عَلَى يَدَيْهِ أَعْدَادٌ كَبِيرَةٌ يَنْشُرُونَ السُّنَّةَ هُنَا وَهُنَاكَ، لَا تَسْتَخِفُّهُمْ رَغْبَةٌ فِي الدُّنْيَا، وَلَا رَهْبَةٌ مِنْ أَهْلِهَا، وَضَرَبُوا أَرْوَعَ الأَمْثِلَةِ فِي الثَّبَاتِ أَمَامَ المُغْرِيَاتِ، زَادَهُمُ اللهُ هُدًى وَتَقْوَىً وَثَبَاتًا»[1].

8- ثَنَاءُ شَيْخِهِ العَلَّامَةِ سَيِّد مُحَمَّد الحَكِيم[2] رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَالَ: «وَالمُنَاقَشَةُ المَقْصُودُ مِنْهَا أَنْ نَفْهَمَ الطَّالِبَ وَنُقَوِّمَهُ، فَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِمُقْبِلٍ فَهُوَ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يَحْضُرَ المُنَاقَشَةَ، وَأَنَا أُقَوِّمُهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُسْأَلَ».

وَقَالَ: «لَكِنْ لَا يُنْظَرُ إِلَى شَهَادَةٍ وَهُوَ لَا يُقِيمُ العَالَمَ بِشَهَادَتِهِ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى العِلْمِ بِحَدِّ ذَاتِهِ، فَهُوَ رَجُلٌ نَسِيجُ وَحْدِهِ، رَجُلٌ لَا تَجِدُ مِثْلَهُ فِي هَذَا العَصْرِ»[3].

قُلْتُ: وَلَقَدْ صَدَقَتْ فِرَاسَةُ شَيْخِهِ فِيهِ، رَحِمَ اللهُ الجَمِيعَ، فَقَدْ أَوْقَفَ حَيَاتَهُ للهِ بِصِدْقٍ فَنَفَعَ اللهُ بِهِ البِلَادَ وَالعِبَادَ، وَكَتَبَ لَهُ وَلِدَعْوَتِهِ القَبُولَ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

9- ثَنَاءُ مُؤَرِّخِ اليَمَنِ العَلَّامَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الأَكْوَعِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «العَلَّامَةُ الحَافِظُ المُحَدِّثُ، هِبَةُ اللهِ لِلْيَمَنِ، المُصْلِحُ الكَبِيرُ، وَرَوْحُ اللهِ الأَمْثَلُ الشَّيْخُ مُقْبِلُ الوَادِعِيُّ الحَاشِدِيُّ الهَمْدَانِيُّ»[4].

---

(1) من شريط مسجَّلٍ بعد وفاةِ الشَّيخ بأيَّامٍ.

(2) انظر «غارة الأشرطة» للشيخ مقبل.

(3) انظر «الإبهاج» للعتميِّ (ص166).

(4) «الإبهاج» (ص166).

10- ثَنَاءُ المُؤَرِّخِ إِسْمَاعِيلَ الأَكْوَعِ - حَفِظَهُ اللهُ -:

قَالَ فِي سِيَاقِ كَلَامِهِ عَلَى وَادِعَةَ: «وَيُنْسَبُ إِلَى وَادِعَةِ دَمَّاج العَلَّامَةُ المُحَدِّثُ المُعَاصِرُ مُقْبِلُ بنُ هَادِي الوَادِعِيُّ، وَهُوَ مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى نَشْرِ العِلْمِ وَالسُّنَّةِ فِي بِلَادِ صَعْدَةَ وَغَيْرِهَا».

11- ثَنَاءُ تِلْمِيذِهِ البَارِّ العَلَّامَةِ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ الحَجُورِيِّ - حَفِظَهُ اللهُ -:

قَالَ: «لَقَدْ كَانَ لِشَيْخِنَا العَلَّامَةِ النِّحْرِيرِ[1] وَالمُصْلِحِ الكَبِيرِ مُقْبِلِ بنِ هَادِي الوَادِعِيِّ - أَسْكَنَهُ اللهُ فَسِيحَ جَنَّتِهِ - الحَظُّ الأَوْفَرُ، وَالقِسْطُ الأَكْبَرُ مِنَ العِلْمِ النَّافِعِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالأَخْلَاقِ السَّامِيَةِ، وَالهِمَّةِ العَالِيَةِ، وَالشَّجَاعَةِ الفَائِقَةِ فِي قَوْلِ الحَقِّ وَنُصْرَةِ ذَوِيهِ، وَدَحْضِ البَاطِلِ وَإِهَانَةِ مُعْتَنِقِيهِ بِالحُجَّةِ وَالبُرْهَانِ، وَفِي غَايَةٍ مِنَ الإِيضَاحِ وَالبَيَانِ، وَلِغَزَارَةِ عِلْمِهِ، وَدِقَّةِ فَهْمِهِ، وَحُسْنِ نُصْحِهِ، وَعَظِيمِ صَبْرِهِ وَحِلْمِهِ، وَشِدَّةِ مَحَبَّتِهِ لِلْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ، وَقُوَّةِ ثَبَاتِهِ وَصَلَابَتِهِ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ؛ أَحَبَّهُ الصَّالِحُونَ، وَرَحَلَ إِلَيْهِ النَّاصِحُونَ، مِنْ طَلَبَةِ تِلْكَ العُلُومِ الشَّرِيفَةِ، وَالفَوَائِدِ المُنِيفَةِ[2]، فَرَتَعُوا مِنْ رِيَاضِهِ، وَنَهِلُوا[3] مِنْ حِيَاضِهِ، بَيْنَ مُسْتَقِلٍّ وَمُسْتَكْثِرٍ»[4].

12- ثَنَاءُ تِلْمِيذِهِ العَلَّامَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ الوِصَابِيِّ:

قَالَ: «هُوَ المُحَدِّثُ الفَقِيهُ، الزَّاهِدُ، الصَّابِرُ، الدَّاعِي إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، نَاصِرُ السُّنَّةِ وَقَامِعُ البِدْعَةِ، وَمُجَدِّدُ دَعْوَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي اليَمَنِ.

---

(1) النِّحْرِير - بالكسر -: الحاذق الماهر البصير بكُلِّ شيءٍ؛ لأَنَّه يَنْحَرُ العِلْمَ نَحْرًا، والجمع النَّحارِيرُ.

(2) المُنِيفة: العالية.

(3) النَّهَل: الشُّرْب الأَوَّل، وبابُهُ فَرِحَ.

(4) «الإبهاج» (ص4).

أَحْيَا سُنَّةَ السَّلَفِ فِي الرِّحْلَةِ فِي طَلَبِ العِلْمِ، رَحَلَ إِلَيْهِ الطُّلَّابُ مِنْ جَمِيعِ أَنْحَاءِ العَالَمِ، فَلَمْ يُرْحَلْ إِلَى عَالِمٍ مِثْلِهِ فِي هَذَا العَصْرِ ـ فِيمَا أَعْلَمُ ـ.

الحَقُّ غَايَتُهُ، فَمَتَى وَجَدَهُ عَضَّ عَلَيْهِ بِالنَّوَاجِذِ، وَلَا يُبَالِي بِمَنْ خَالَفَهُ، إِذَا كَانَ المَوْقِفُ عَلَى الحَقِّ.

فَهُوَ الحَافِظُ الثَّبْتُ، الثِّقَةُ العَالِمُ بِعِلَلِ الحَدِيثِ، البَصِيرُ بِفِقْهِ الوَاقِعِ»(1).

13 - **ثَنَاءُ تِلْمِيذِهِ العَلَّامَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الإِمَامِ ـ حَفِظَهُ اللهُ ـ:**

«الشَّيْخُ مُقْبِلٌ هُوَ وَالِدُنَا وَشَيْخُنَا وَمُرَبِّنَا، وَقَدْ تَعَلَّمْتُ عَلَى يَدَيْهِ مُدَّةً لَا بَأْسَ بِهَا، وَلَنَا زِيَارَاتٌ لَهُ وَلِقَاءَاتٌ، وَمِنْ خِلَالِ هَذَا كُلِّهِ فَقَدْ عَرَفْتُ أُمُورًا عَظِيمَةً عَنِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَمِنْهَا:

1- تَوَكُّلُهُ عَلَى اللهِ، فَلَمْ أَرَ أَحَدًا أَعْظَمَ تَوَكُّلًا عَلَى اللهِ مِنْهُ.

2- شَجَاعَتُهُ فِي سَبِيلِ الحَقِّ، فَقَدْ رَأَيْتُ فِيهِ شَجَاعَةً مُنْقَطِعَةَ النَّظِيرِ.

3- حُبُّهُ لِلْحَقِّ، فَقَدْ رَأَيْتُ الحَقَّ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَيْهِ، بِحَيْثُ لَا يَهُمُّهُ أَنْ يَهْجُرَهُ النَّاسُ، أَوْ يُعَادُوهُ إِذَا كَانَ مُحِقًّا.

4- زُهْدُهُ وَوَرَعُهُ، فَقَدْ رَأَيْتُ الزُّهْدَ عِنْدَهُ، بِحَيْثُ لَا يُبَالِي بِالدُّنْيَا أَقْبَلَتْ أَمْ أَدْبَرَتْ.

5- يَكْرَهُ التَّقْلِيدَ، وَيُصِرُّ عَلَى اتِّبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ، وَبِسَبَبِ هَذَا أَحْيَا اللهُ بِهِ السُّنَّةَ، وَأَمَاتَ البِدْعَةَ.

6- سَعَةُ عِلْمِهِ وَشُمُولِيَّتُهُ، فَقَدْ رَأَيْتُ عِنْدَهُ إِلْمَامًا بِعُلُومِ الشَّرِيعَةِ، وَوَاقِعِ الأُمَّةِ، وَأَحْوَالِ الدُّعَاةِ وَالعُلَمَاءِ، وَالفِرَقِ وَالأَحْزَابِ، وَهَذَا كَمَالٌ فَوْقَ كَمَالٍ.

(1) «الإمام الألمعيُّ» لأحمد بن منصور (ص211).

7- تَضَلُّعٌ[1] فِي عِلْمِ الحَدِيثِ، فَهُوَ الَّذِي يُدَانِي مُحَدِّثَ العَصْرِ الأَلْبَانِيَّ، وَبَعْدَ مَوْتِ الأَلْبَانِيِّ لَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْهُ بِعِلْمِ الحَدِيثِ.

8- العَدْلُ وَالإِمَامَةُ فِي الجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ.

9- سُرْعَةُ رُجُوعِهِ إِلَى الحَقِّ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ أَخْطَأَ، وَهَذَا مِنْ عَلَامَاتِ الرُّسُوخِ فِي العِلْمِ النَّافِعِ.

10- كَرَمُهُ، فَمَا رَأَيْتُهُ بَخِلَ بِمَالٍ فِي يَدِهِ، وَلَا فِي كِتَابٍ، وَلَا شَيْءٍ، فَهَذَا مِنْ مَنَاقِبِ شَيْخِنَا الوَادِعِيِّ، فَلِلَّهِ دَرُّهُ!»[2].



(1) يُقال: تَضَلَّعَ الرَّجُلُ: إذا امتلأ شِبَعًا وَرِيًّا، حتَّى بَلَغَ الماءُ أَضْلَاعَهُ.

(2) «الإمام الألمعيُّ» (217، 218).

بَعْضُ القَصَائِدِ
فِي الثَّنَاءِ عَلَى الشَّيْخِ وَدَعْوَتِهِ

تَبَسَّمَ ثَغْرُ المَجْدِ يَوْمًا لِمُقْبِلِ

شِعْرُ: هِشَامِ بْنِ مُصْطَفَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ الدَّقَّاقِ المَغْرِبِيِّ الأَقْصَى

تَبَسَّمَ ثَغْرُ المَجْدِ يَوْمًا لِمُقْبِلِ ○●○ فَأَحْنَا سَاطِعَ الْحُسنِ مِنْ عَلِ[1]
وَقَالَ لَنَا: هَذَا إِمَامِي وَسَيِّدِي ○●○ شَذَا[2] فِكْرُهُ جَارٍ عَلَى كُلِّ مِقْوَلِ[3]
تَفَجَّرَ يَنْبُوعًا مِنَ العِلْمِ والحِجَا ○●○ فَأَكْرِمْ بِهِ مِنْ عَالِمٍ مُتَفَضِّلِ
لَهُ جُرْأَةٌ فِي الحَقِّ قَدْ سَلَّ سَيْفَهَا ○●○ فَمَهْمَا يُدْعَى لِلْكَرِيهَةِ[4] يَنْزِلِ
بِهِ أَخْمَدَ الجَبَّارُ نِيرَانَ بِدْعَةٍ ○●○ بُعَيْدَ ظَلَامٍ مُطْبِقِ الجَهْلِ مُسْدَلِ[5]
أَلَا أَيُّهَا الرَّكْبُ اليَمَانُونَ عَرِّجُوا[6] ○●○ عَلَى مَعْهَدٍ حِصْنِ العُلُوم وَمَعْقِلِ
فَهَذَا أَوَانٌ لِلرَّحِيلِ فَشَمِّرُوا ○●○ عَنِ الجِدِّ إِنْ رُمْتُمْ مَعَالِيَ مَنْزِلِ
وَسُوقُوا الْقِلَاصَ[7] العَالِيَاتِ عَشِيَّةً ○●○ إِلَى رَبْعِ[8] دَمَّاجٍ لِرُؤْيَةِ مُقْبِلِ
كَرِيمُ السَّجَايَا[9] خَائِضٌ كُلَّ لُجَّةٍ[10] ○●○ فَمَنْهَلُهُ الفَيَّاضُ أَعْذَبُ مَنْهَلِ

---

(1) مِنْ عَلِ: أَيْ مِنْ فَوْقُ.

(2) الشَّذَا ـ بزِنَةِ الفَتَى ـ: قُوَّةُ ذَكاءِ الرَّائحة.

(3) المِقْوَل ـ بالكسر ـ: اللِّسِنُ الحَسَنُ القَوْلِ.

(4) الكَرِيهة: الحَرْب.

(5) مُسْدَل: مُرْسَل.

(6) يُقال: عرَّج فُلانٌ على المَنْزِل تعريجًا: إذا حبس مَطِيَّتَهُ عليه وأقام.

(7) القِلاص: جَمعُ قَلُوصٍ، وهي الفَتِيَّة من الإبل، وتجمعُ ـ أيضًا ـ على قلائصَ، وقُلُصٍ، وجَمْعُ الجَمْعِ قُلْصَانٌ.

(8) الرَّبْع ـ بالفَتْح ـ: الدَّار، والجمعُ رِباع، ورُبُوعٌ، وأربعٌ، وأرباعٌ.

(9) السَّجايا: جمع سجِيَّةٍ، وهي الخُلُق والطَّبيعة.

(10) لُجَّة البَحْرِ ـ بالضَّمِّ ـ: حيثُ لا يُدْرَكُ قَعْرُهُ، والجمعُ لُجٌّ، ولُجَجٌ، ولِجَاجٌ.

لَقَدْ أطْلَقَ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةَ عِنْدَمَا ○●○ رَآهَا هَشِيمًا أَوْ كَحَبَّةِ خَرْدَلِ
فَهَذَا طَعَامٌ لَيْسَ فِيهِ تَكَلُّفٌ ○●○ مِنَ الأُرْزِ والخُبْزِ الشَّعِيرِ المُنَخَّلِ
وَهَذَا لِبَاسٌ لِلْقَنَاعَةِ وَالتُّقَى ○●○ وَبَيْتٌ مِنَ الطِّينِ القَدِيمِ المُجَنْدَلِ[1]
سَأَلْتُ الإِمَامَ الشَّافِعِيَّ وَمَالِكًا ○●○ وَنُعْمَانَ طُرًّا[2] وَالإِمَامَ ابْنَ حَنْبَلِ
فَقَالُوا جَمِيعًا: ابْنُ هَادِي خَلِيفَةٌ ○●○ لَنَا فِي حَدِيثِ المُصْطَفَى خَيْرِ مُرْسَلِ[3]
أَلَا فَاسْمَعَنْ - يَا بْنَ الكِرَامِ - قَصِيدَةً ○●○ مِنَ الحَرَمِ المَكِّيِّ تَلُوحُ وَتَنْجَلِي
وَقَدْ حَثَّنِي ابْنُ الأَدِيبِيِّ مَرَّةً ○●○ عَلَى نَظْمِهَا بَعْدَ الحَدِيثِ المُطَوَّلِ
فَهَذِي عَلَى قَدْرِ المُقِلِّ بِضَاعَتِي ○●○ أُقَدِّمُهَا لِلْوَادِعِيِّ المُبَجَّلِ
وَمَازِلْتُ بِالأَشْعَارِ أَهْتِفُ قَائِلًا: ○●○ تَبَسَّمَ ثَغْرُ المَجْدِ يَوْمًا لِمُقْبِلِ[4]

---

(1) المُجَنْدَل: الممزوج بالحجارةِ.

(2) طُرًّا - بالضَّمِّ - : أيْ جميعًا.

(3) عَلَّق الإمامُ الوادعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ على هذا البَيْتِ والَّذِي قَبْلَهُ بقوله: «هذا مِن مُبالغةِ الشُّعراءِ الَّذِين يقولُ اللهُ فيهم: ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾، ولولا ما وُصِفَ لي مِنْ فَضْلِ الأَخِ وتُقاهُ، ومَحَبَّتِهِ للسُّنَّةِ، لحذفتُ هذين البيتين، أسألُ اللهَ أَنْ يَجْزِيَهُ خَيْرًا».

(4) «الترجمة» للوادعيِّ (113 - 114).

فَاستَبْشِرِي يَا سَاهُ [1]

شِعْرُ: أَبِي حَسَّانَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ السَّعْدِيِّ

يَا سَاهُ، حَيِّي بِأَرْضِكِ مَنْ قَدْ حَضَرْ ○●○ وَلْتَجْعَلِي كُلَّ القُلُوبِ لَهُ مَقَرْ
قَدْ جَاءَ يَحْمِلُ لِلْقُلُوبِ رَبِيعَهَا ○●○ فَاسْتَبْشِرِي -يَا سَاهُ- فَجْرُكِ قَدْ ظَهَرْ
كَمْ غَيَّمَتْ [2] سُودُ الغَمَامِ سَمَاءَكِ ○●○ بَرْقًا وَرَعْدًا دُونَ غَيْثٍ يُنْتَظَرْ
وَالآنَ قَدْ قُشِعَ [3] الضَّبَابُ وَجَاءَكِ ○●○ بَحْرٌ عَلِيٌّ بِالجَوَاهِرِ وَالدُّرَرْ
عَجبًا بِحَارُ الأَرْضِ يُرْحَلُ نَحْوَهَا ○●○ وَإِلَيْكِ بَحْرٌ بِالمَعَانِي قَدْ حَضَرْ!
سَكْدَانُ جَاءَتْ وَالرُّدُودُ كَمَ أَتَتْ ○●○ سَيئُونُ تَرْجُو أَنْ تُشَارِكَهُ السَّمَرْ
وَهُنَاكَ أَرْضٌ لَمْ أُسَمِّ بِقَاعَهَا ○●○ جَاءُوا إِلَيْكِ وَقَدْ أَتَى فِيكِ القَمَرْ
هُوَ مَا أَتَى يَدْعُو لِحِزْبٍ بَاطِلٍ ○●○ كَلَّا، وَلَكِنْ لِلْكِتَابِ وَلِلْأَثَرْ
يُهْدِي البِشَارَةَ مَنْ دَعَا بِهِمَا وَمَنْ ○●○ أُوذِي لِأَجْلِهِمَا فَصَابَرَ وَاصْطَبَرْ
وَأَتَى يُحَذِّرُ مِنْ أُمُورٍ كُلِّهَا ○●○ تَهْوِي بِصَاحِبِهَا وَتُصْلِيهِ سَقَرْ
يَدْعُو لِدِينِ اللهِ دَعْوَةَ صَادِقٍ ○●○ شَرِبَ الأَسَى مِنْ أَجْلِكُمْ وَبِهِ انْصَهَرْ
وَمَضَى بِدَعْوَتِهِ وَلَمْ يَعْبَأْ بِمَنْ ○●○ رَامُوا بِهِ كَيْدًا لِيَسْقُطَ فِي الحُفَرْ
هَجَرَ الفِرَاشَ وَأَيُّ نَوْمٍ عِنْدَهُ ○●○ وَالحَقُّ يَذْبَحُهُ السَّفِيهُ وَمَا انْتَظَرْ؟!
وَتَحَمَّلَ الأَعْبَاءَ بِجِدٍّ، وَعَزْمُهُ ○●○ حُبٌّ لِخَالِقِ وَلَمْ يَخْشَ الضَّرَرْ
لَو تُبْصِرُونَ الشَّيْخَ وَهْوَ بِدَارِهِ ○●○ دَارِ الحَدِيثِ، عَرَفْتُمُو صِدْقَ الخَبَرْ

---

(1) هي قصيدةٌ تَرْحِيبِيَّةٌ (بالشَّيْخِ مُقْبِلٍ)، ومَنْ جاء معه في مدينةِ (ساهِ) بمحافظةِ حَضْرَمَوْت.

(2) غَيَّمَتِ السَّماءُ: تَلَبَّدَتْ بالغُيُوم، حتَّى لا تَرَى فيها شَمْسًا مِنْ شِدَّةِ إلباسِ الغَيْمِ أقطارَها.

(3) قُشِعَ: كُشِفَ، وبابُهُ مَنَعَ.

لَـو زُرْتُمُـو دَارَ الحَـدِيثِ لَقُلْتُمُـو: ○●○ هَـذَا ابْـنُ عبـاسٍ، أَوْ هَـذَا عُمَـرْ[1]
أَوْ ذَا الإِمَــامُ الـشَّافِعِيُّ وَمَالِـكٌ ○●○ أَو ذَا ابْنُ حَنْبَلٍ قَدْ تَشَابَهَتِ الفِكَرْ
وَأَبُـو حَنِيفَـةَ وَالبُخَـارِيُّ وَمُـسْلِمٌ ○●○ كُنَّـا نَظُـنُّ بِـأَنَّ ذِكْرَهُمُـو انْـدَثَرْ
شَـيْخٌ ـ وَرَبِّي ـ مَـا عَرَفْنَـا قَـدْرَهُ ○●○ إِنْ لَمْ يَكُـنْ لِكَلَامِـهِ فِينَـا أَثَـرْ
يَا شَيْخُ، عُذْرًا إِنْ جَفَا بَعْضُ الوَرَى[2] ○●○ فَالـشَّمْسُ بَازِغَـةٌ وإِنْ رَفَـضَ البَـشَرْ
يَـا شَـيْخَنَا، لَـكَ بالنَّخِيـلِ عَلَاقَـةٌ ○●○ فَالنَّخْـلُ يُـرْجَمُ وَهْـوَ يُهْـدِينَا الثَّمَـرْ
فَـسَلَامُنَا ـ يَـا وَادِعِـيُّ ـ نَـزُفُّـهُ ○●○ أَهْـلًا وَسَـهْلًا[3] يَـا مَـنْ حَـضَرْ



(1) عَلَّقَ على ذلك الشيخُ ـ كما في «التَّرْجَمة» (85) ـ بقوله: «في كلام الأخ الشَّاعِرِ ـ حفظه اللهُ ـ شَيْءٌ مِنَ المُبَالَغَةِ شَأْنُ كَثِيرٍ مِنَ الشُّعَرَاءِ، أسألُ اللهَ أَنْ يُثَبِّتَهُ، وَأَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ كُلَّ سُوءٍ ومَكْرُوهٍ».

(2) الوَرَى ـ بزِنَةِ الفَتَى ـ: الخَلْق والنَّاس.

(3) أَهلًا وسَهْلًا: أَيْ صادفت أَهْلًا، فاسْتَأْنِسْ ولا تَسْتَوْحِشْ، وَنَزَلْتَ بَلَدًا سَهْلًا، لا حَزْنًا غليظًا.

تَرْكِي لِغَيْرِ المُسْتَطاعِ ذَكاءُ

شِعْرُ: عَبْدُ الكَرِيمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ العِمَادِ

يَـا وَيْـحَ عَـاذِلَتِي؛ عِتَابُـكِ دَاءُ ○●○ وَيُقَـالُ: فِي بَعْضِ العِتَـابِ شِفَاءُ!
قَالَتْ: أَلَمْ تَمْدَحْهُ بَعْدُ؟، فَقُلْتُ: لَا ○●○ تَرْكِـي لِغَـيْرِ المُـسْتَطَاعِ ذَكَـاءُ
أَوَ لَسْتَ مَنْ خَضَعَ القَصِيدُ لِقَدْرِهِ ○●○ وَإِلَيْـهِ يَـشْكُو عِنْـدَمَا يَـسْتَاءُ؟!
يَا نَفْسُ، صَبْرًا؛ قَدْ عَرَفْتُ مَكَانَتِي ○●○ إِنَّ اِعْـتِرَافِي بِالقُـصُورِ عَـلَاءُ
لَا تَعْذُلِينِي إِنْ عَجَزْتُ عَنِ الثَّنَا؛ ○●○ فَالـشَّيْخُ مُقْبِلُ فِي الـوَرَى اسْتِثْنَاءُ
لِبِحَارِ مَدْحِ الشَّيْخِ مُقْبِلِ أَهْتَدِي ○●○ عَقَبَـاتُهُنَّ شَـوَامِخٌ كَـأْدَاءُ[1]
مَـا كَـانَ أَوْ سَـيَكُونَ أَوْ هُـوَ كَـائِنٌ ○●○ مِـنْ كُـلِّ مَـا مَـدَحَتْ بِـهِ الـشُّعَرَاءُ
لَـوْ قُلْتُـهُ فِي الـشَّيْخِ مُقْبِـلِ وَحْـدَهُ ○●○ لَمْ يُغْـتَرَفْ مِـنْ بَحْـرِهِ الإِرْوَاءُ
أَنَـا لَـسْتُ آبَـى المَـدْحَ، لَكِـنْ رُبَّمَـا ○●○ مَـدْحُ الكِبَـارِ مِـنَ الـصِّغَارِ هِجَـاءُ
قَدْ يَمْدَحُ الشُّعَرَاءُ ذَا عِلْمٍ سَمَا[2] ○●○ كَيْـفَ الَّـذِي دَانَـتْ لَـهُ العُلَمَـاءُ؟!
يُثْنَى عَلَى الرَّجُـلِ الكَـرِيمِ لِفَـضْلِهِ ○●○ كَيْـفَ الَّـذِي افْتَخَـرَتْ بِـهِ الكُرَمَـاءُ؟!
يُثْنَـى عَـلَى الرَّجُـلِ العَـلِيِّ لِقَـدْرِهِ ○●○ مَـا بَـالُ مَـنْ تَـسْمُو بِـهِ العَلْيَـاءُ؟
هَـلْ زَادَ مَـاءَ البَحْـرِ مَـدْحُكَ جُـودَهُ ○●○ أَمْ لَـيْسَ يَكْثُـرُ بِالمَـدِيحِ المَـاءُ؟
أَمِنِ امْتِدَاحِ الشَّمْسِ أَشْرَقَ نُورُهَا؟ ○●○ وَالبَـدْرُ هَـلْ يَعْلُـو بِـهِ الإِطْـرَاءُ[3]؟
لِـمُجَلَّدِ الأَخْـلَاقِ كَـانَ الـمُحْتَوَى ○●○ كَـمْ يَرْتَـوِي مِـنْ فَيْـضِهِ القُـرَّاءُ!

---

(1) عَقَبَةٌ كَأْدَاءُ: شاقَّةُ المَصْعَدِ.

(2) سَما: علا وارتفع، وبابُهُ علا.

(3) الإطراء: المدح والثَّناء.

كُـلُّ الفَـضَائِلِ جُمِّعَـتْ وَتَأَنَّـسَتْ ○●○ فِي شَخْـصِهِ، وَلَهَـا بِـهِ اسْـتِيفَاءُ
كَـمْ عَـمَّ دَاءُ الجَهْـلِ أَفْئِـدَةَ الـوَرَى ○●○ والـشَّيْخُ مُقْبِـلُ للقلـوب دواءُ
كَـمْ قَـدْ تَفَـاخَر غَـيْرُه بِعُلُـومِهِمْ ○●○ وَالـشَّيْخُ مُقْبِـلُ لِلْعُلُـومِ سَمَـاءُ
مَـنْ كَـانَ يُـبْغِضُ مُقْبِلًا أَوْ نَهْجَـهُ؟ ○●○ إِلَّا الَّـذِي تَاهَـتْ بِـهِ الظَّلْمَـاءُ
إِنَّ القُلُـوبَ إِذَا أُصِيبَتْ بِـالعَمَى ○●○ تَـسْمُو عَلَيْهَـا الأَعْـيُنُ العَمْيَـاءُ
وَمِـنَ القُلُـوبَ شَـذَا النَّسِيمِ يُـذِيبُهَا ○●○ وَمِـنَ القُلُـوبِ الـصَّخْرَةُ الـصَّمَّاءُ
أَنْـصَارُهُ وَمُعَارِضُـوهُ بِحُكْمِهِـمْ ○●○ بِمَكَانَـةِ الـشَّيْخِ الجَلِيْـلِ سَـوَاءُ!!
يَكْفِيـهِ فَخْـرًا أَنَّـهُ حَمَـلَ اللِّـوَا ○●○ لِلْعِلْـمِ فَهُـوَ عَـلَى اللِّـوَاءِ لِـوَاءُ
والـسُّنَّةُ الغَـرَّاءُ[1] تَفْخَـرُ أَنَّـهُ ○●○ يَحْمِـي حِمَاهَـا الـشَّيْخُ وَالأَنْـضَاءُ[2]
الـشِّرْكُ وَالبِـدَعُ الخَبِيثَـةُ والـضَّلَالُ ○●○ أَبَـادَهُنَّ حُـسَامُهُ[3] الوَضَّـاءُ
إِنِّي عَجَـزْتُ عَـنِ المَـدِيحِ أَقُولُهَـا ○●○ بِـصَرَاحَةٍ، وَلْيَفْعَلُـوا مَـا شَـاءُوا
فَـشَهَادَةُ الأَعمَـى مَتَـى أَدْلَى بِهَـا ○●○ فِي اللُّؤْلُـؤِ المَكْنونِ[4] فَهِـيَ هَبَـاءُ[5]

---

(1) الغرَّاء ـ بِزِنَةِ البَيْضَاءِ ـ: الشَّريفة.

(2) الأنضاء: جمع نَضِيٍّ، وهو نَصل السَّهمِ، سُمِّي نَضِيًّا؛ لكثرةِ البَرْيِ والنَّحْتِ.

(3) الحُسام: السَّيْف القاطع.

(4) المكنون: المستور.

(5) الهباء: الشَّيْءُ المُنْبَثُّ الَّذِي تراهُ فِي البَيْتِ مِن ضَوْءِ الشَّمْسِ شَبِيهًا بالغُبار، أَيْ: أَنَّ شهادتَهُ مُبْطَلة، حتَّى صارتْ بمنزلةِ الهباءِ.

الشَّيْخُ مُقْبِلُ يَا كَمْ حَازَ مِنْ شَرَفٍ[1] !

شِعْرُ: أَبِي عَبْدِ اللهِ مَنْصُورٍ الأَدِيبِيِّ

اللهُ يَا رَبِّ حَيِّ القَوْمَ وَالأُمَمَا ○●○ وَاجْعَلْ لِكُلِّ هُدَاةٍ فِيهِمُو عَلَمَا
اللهُ أَكْبَرُ هَذَا الوَفْدُ زَائِرُكُمْ ○●○ فَيَا رَعَى اللهُ هَذَا الوَفْدَ إِذْ قَدِمَا
الشَّيْخُ مُقْبِلُ يَا كَمْ حَازَ مِنْ شَرَفٍ ○●○ وَكَمْ رَزَايَا[2] أَتَتْهُ نَحْوَهَا ابْتَسَمَا
قَامَ الكَرِيمُ بِأَرْضٍ مَا بِهَا أَحَدٌ ○●○ لِدَعْوَةِ السُّنَّةِ الغَرَّاءِ مَا انْهَدَمَا
قَامَ الكَرِيمُ بِأَرْضٍ كُلُّهَا جُثَثٌ ○●○ مِنَ الرَّوَافِضِ[3] بَيْدَ الحَقُّ مَا انْفَصَمَا[4]
فَنَادَى بِالسُّنَّةِ الأَقْوَامَ فِي مَهَلٍ ○●○ فَقَامَ بِالسُّنَّةِ الغَرَّاءِ مَا انْهَدَمَا
اللهُ يَعْلَمُ كَمْ لَاقَاهُ مِنْ نَصَبٍ[5] ○●○ عَلَى الطَّرِيقِ، وَكَمْ لَاقَى بِهَا أَلَمَا!
يَأَيُّهَا الشَّيْخُ، قَدْ أَصْبَحْتَ مُصْطَنِعًا ○●○ لِقِمَّةِ المَجْدِ، صِرْتَ الرُّكْنَ مُسْتَلَمَا
يَا رَبِّ، فَاحْفَظْهُ مِنْ كُلِّ البَلَاءِ، وَكُنْ ○●○ -يَا رَبِّ- لِلشَّيْخِ غَوْثًا يَنْشُرُ الهِمَمَا
وَاليَوْمَ أَفْخَرُ مِنْ هَذَا المُقَامِ بِكُمْ ○●○ وَأَكْتُبُ الشِّعْرَ مَوْزُونًا قَدِ انْتَظَمَا
يَا أَهْلَ سُنَّةِ خَيْرِ الخَلْقِ، حَسْبُكُمُو ○●○ مِنَ الإِلَهِ ثَنَاءُ الخَيْرِ قَدْ عَظُمَا
فَمَرْحَبًا بِكُمُو مِنْ نُخْبَةٍ عُرِفَتْ ○●○ بِالعِلْمِ وَالحَقِّ تَقْفُو[6] نَهْجَهُ قُدُمَا[7]!

---

(1) قصيدةُ أَهْلِ تعزَّ التَّرْحِيبِيَّةُ بالشَّيْخِ مُقْبِلٍ.
(2) الالرَّزَايا: جمع رَزِيَّة، وهي المُصيبة.
(3) بَيْدَ: كغَيْر وَزْنًا ومَعْنًى.
(4) انفصم: انكسر.
(5) النَّصَب: كالتَّعب وَزْنًا ومعنًى.
(6) تقفو: تتَّبع، وبابُهُ عَدَا وسَما.
(7) القُدُم -بِضَمَّتَيْنِ-: المُضِيُّ أمامَ أمامَ.

وَأَنْتُمُو شَرَفٌ لِلْأَرْضِ مَا بَقِيَتْ ○●○ تَدْعُونَ فِيهَا عُهُودَ النَّاسِ وَالذِّمَمَا[1]

واللهِ، لاَ خَيْرَ فِي فِكْرٍ يُحَارِبُكُمْ ○●○ فَالفِكْرُ زُورٌ[2]، وَأَنْتُمْ أَهْلُ مَنْ رَحِمَا

هَذِي مَحَاسِنُكُمْ فِي النَّاسِ قَدْ عُرِفَتْ ○●○ فَكُلُّ وَجْهٍ عَلَى أَعمَالِكُمْ سَلِمَا

هَذَا رَسُولُ الهُدَى فِي الخَلْقِ قُدْوَتُكُمْ ○●○ مِنْ حِينِ كَانَ الهَوَى فِي غَيْرِكُمْ نِعَمَا

نَعَمْ، نَرَى كُلَّ يَوْمٍ دَعْوَةً، وَنَرَى ○●○ لَهَا دُعَاةً، وَلَكِنْ لَا نَرَى هِمَمَا

فَكُلُّ مَنْ قَامَ يَدْعُو النَّاسَ مُكْتَسِبًا ○●○ تَمُوتُ دَعْوَتُهُ فِي مَهْدِهَا[3] عَدَمَا

لَكِنَّ دَعْوَتَكُمْ فِي النَّاسِ قَدْ عُرِفَتْ ○●○ بِصِدْقِهَا، وَلَدَيْهِمْ صَارَتِ العَلَمَا

أُعِيذُكُمْ بِإِلَهِ الكَوْنِ مِنْ زَلَلٍ ○●○ فَهُوَ الَّذِي كَاشِفٌ عَنْ دَرْبِنَا الظُّلَمَا

فَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُعْلِي مَنَازِلَكُمْ ○●○ فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا لِلْعَبْدِ قَدْ قُسِمَا

---

(1) الذِّمم: جمعُ ذِمَّةٍ - بالكسر -، وهي العَهْدُ.

(2) زُور - بالضم -: كَذِبٌ.

(3) المَهْد - بالفتح -: فراش الصَّبِيِّ، أَيْ: تَمُوتُ في بدايةِ عُمُرِها.

دَمَّاجُ مَا أَحْلَاكِ [1]

شِعْرُ: أبي أحمدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ

دَمَّاجُ، رِفْقًا إِنَّنِي مُضْنَاكِ [2] ○●○ فَتَرَفَّقِي بِفَتَى مُحِبٌّ شَاكِي
أَنَا شَاعِرٌ نَظَمَ القَصَائِدَ لَوْعَةً ○●○ فَهَمَتْ عُيُونُ [3] الشِّعْرِ يَوْمَ أَتَاكِ
نَبْضٌ يُعَانِقُ أَحْرُفِي وَيَضُمُّهَا ○●○ وَيُغَنِّي: يَا دَمَّاجُ، مَا أَحْلَاكِ!
أَنَا مُغْرَمٌ نَثَرَ القَوَافِي عِنْدَمَا ○●○ أَلْفَى [4] السُّمُوَّ بِنُورِهِ حَيَّاكِ
فَرَحَلْتُ فِي شَوْقٍ إِلَيْكِ مُخَلِّفًا ○●○ أَهْلًا وَأَوْطَانًا؛ لِكَيْ أَلْقَاكِ
وَتَرَكْتُ أَوْهَامًا تَهَاوَتْ عِنْدَمَا ○●○ زَارَ الحَنِينُ فُؤَادَ مَنْ يَهْوَاكِ
فَأَتَيْتُ كَيْ أَلْقَى عَلَى أَعْتَابِكِ ○●○ هَدْيَ الرَّسُولِ وَآلِهِ النُّسَّاكِ [5]
وَأَتَيْتُ - يَا دَمَّاجُ - كَيْ أَلْقَى هُنَا ○●○ قَلْبًا رَحِيمًا بِالتُّقَى غَذَّاكِ
وَأَتَيْتُ كَيْ أَلْقَى الحَيَاةَ أَبِيَّةً ○●○ فِي شَخْصِ شَيْخٍ لِلْعُلَا نَادَاكِ
وَأَتَيْتُ لِلْبَحْرِ الَّذِي فِي عُمْقِهِ ○●○ يَحْوِي فُنُونَ العِلْمِ، يَا بُشْرَاكِ!
بَحْرٌ خِضَمٌّ [6] زَاخِرٌ مُتَدَفِّقٌ ○●○ فَاقَ الحُدُودَ بِعِلْمِهِ وَسَمَاكِ
وَرَقَى إِلَى الآفَاقِ، يَا أَرْضُ، اشْهَدِي ○●○ لِمُحَدِّثٍ مُتَجَاوِزِ الأَفْلَاكِ

---

(1) أُلْقِيَتْ بدارِ الحَديثِ بدمَّاجَ في 17 ربيع أوَّل سنةَ 1418 هـ.

(2) المُضْنَى: المريض المُثْقَل.

(3) هَمَتِ العَيْنُ هَمْيًا وهُمِيًا وَهَمَيَانًا: صَبَّتْ دَمْعَهَا.

(4) أَلْفَى: وَجَدَ.

(5) النُّسَّاك: جمعُ ناسك، وهو العابد.

(6) خِضَمّ - بالكسر الخاءِ، وفتح الضادِ، وتشديد الميم -: كثير العطاء.

بَـأَبِي وَأُمِّـي لَحْظَـةً فِي قُرْبِـهِ ○●○ بِالأَهْـلِ بِالأَوْطَـانِ مَـنْ أَسْـقَاكِ
نَهْجًـا قَـوِيمًـا مُـشْرِقًا مُتَأَلِّقَـا ○●○ فِيـهِ العُلُـوُّ لِكُـلِّ مَـنْ وَافَـاكِ
طُـوبَى[1] لِجَمْعٍ فِيهِ مُقْبِلُ مُقْبِلَا ○●○ هَـادٍ لَكُـمْ مِـنْ حَـائِرٍ مُتَبَـاكِي
الـوَادِعِيُّ لَـهُ المَـشَاعِرُ أُرْهِفَـتْ[2] ○●○ وَلَكِ القُلُـوبُ هَفَتْ تَـرُومُ رِضَـاكِ
وَلَـكِ الجُمُـوعُ تَوَافَـدَتْ فِي لَهْفَـةٍ ○●○ تَـدْعُو الإِلَهَ بِـأَنْ يُـدِيمَ صِبَاكِ[3]!
اللهُ يَـا دَمَّـاجُ كَـمْ مِـنْ طَـالِـبٍ ○●○ يَبْكِـي حَزِينًـا يَرْتَجِي رُؤْيَـاكِ!
آفَاقُـهُ ضَـاقَتْ، وَضَـاقَتْ أَرْضُـهُ ○●○ يَقْضِي اللَّيَـالِي السُّودَ فِي نَجْوَاكِ[4]
يَتَرَقْـرَقُ الـدَّمْعُ الحَـزِينُ بِمُقْلَـةٍ[5] ○●○ ظَمْـأَى يُـدَاعِبُهَا شُـعَاعُ ضِـيَاكِ
يَـا مَـنْ بَعَثْـتِ الـذِّكْرَيَاتِ حَقِيقَـةً ○●○ وَأَضَـأْتِ وَجْـهَ الـدَّهْرِ مِـنْ ذِكْـرَاكِ
يَرْنُـو إِلَيْـكِ الكَـوْنُ يَبْسِمُ ثَغْـرُهُ[6] ○●○ وَيَقُـولُ: يَـا دَمَّـاجُ، مَـا أَبْهَـاكِ!
وَأَعُودُ ـ يَا دَمَّاجُ ـ أَصْرُخُ: أَيْنَ مَنْ ○●○ أَلِفُـوكِ ثُـمَّ تَنَكَّـرُوا لِهَـوَاكِ؟!
أَيْـنَ الَّـذِينَ بِجِـدِّهِمْ وَجِهَـادِهِمْ ○●○ ضَرَبُـوا لَنَـا الأَمْثَـالَ فِي تَقْـوَاكِ؟
أَيْـنَ الَّـذِينَ إِذَا رَأَيْنَـا سَـمْتَهُمْ[7] ○●○ قُلْنَـا: الْوَقَـارُ يَجُـولُ فِي أَنْحَـاكِ؟
أَيْـنَ الَّـذِينَ إِذَا تَحَـدَّثَ وَاحِـدٌ ○●○ مِنْهُمْ، رَأَيْتَ ذَوِي العُيُونِ بَوَاكِي؟

---

(1) طُوبَى: طِيب العَيْشِ.
(2) أُرْهِفَت: رُقِّقَتْ.
(3) الصِّبَى ـ بزِنَةِ إِلَى ـ: الشَّوْق.
(4) النَّجْوَى: المُحادثة سِرًّا.
(5) المُقْلَة ـ بالضَّمِّ ـ: العَيْن، والجمع مُقَل.
(6) الثَّغْر ـ بالفتح ـ: الفم.
(7) السَّمْت ـ بالفتح ـ: حُسْنُ الهَيْئَةِ والمنظر في الدِّين.

تَرَكُـوكِ ـ يَـا دَمَّـاجُ ـ ثُـمَّ تَنكَّـرُوا ○●○ لِعَظِيمِ جُـودِكِ، يَا جُعِلْـتُ فِـدَاكِ!
تَرَكُـوكِ ـ يَـا دَمَّـاجُ ـ ثُـمَّ تَحَزَّبُـوا ○●○ أُفٍّ[1] لِمَـنْ طَلَـبَ العُـلَا فَقَلَاكِ[2]!
أُفٍّ لِحِـــزْبِيٍّ خَبِيـــثٍ مَـاكِرٍ ○●○ وَغْـدٍ[3] حَقِـيرٍ كَـاذِبٍ أَفَّـاكِ[4]
عَـشِقَ الـضَّيَاعَ، فَقَـادَهُ فِي ذِلَّـةٍ ○●○ أَنْ يَرْتَمِـي فِي حِـضْنِ مَـنْ عَـادَاكِ
غَابَـتْ مَلَامِحُـهُ، وَصَـارَ شُـعُورُهُ ○●○ حِقْـدًا عَـلَى أَهْـلِ الحَـدِيثِ، وَقَـاكِ
رَبُّ السَّمَاءِ مِـنَ الحَسُودِ وَكُـلِّ مَـنْ ○●○ نَـصَبَ العَـدَاءَ لِكُـلِّ مَـنْ وَالَاكِ
فَلْتَحْمَـدِي اللهَ العَظِـيمَ لِفَـضْلِهِ ○●○ وَلْتَـشْكُرِي المَـوْلَى؛ فَقَـدْ أَعْطَـاكِ
نُـورًا تَجَلَّى فِي مُحَيَّـا[5] شَـيْخِنَا ○●○ الـــوَادِعِيِّ بِعِلْمِـــهِ أَعْـــلَاكِ
ثُـمَّ الـصَّلَاةُ عَـلَى النَّبِـيِّ مُحَمَّـدٍ ○●○ مَـا نَـاحَ قُمْـرِيٌّ، وَمَـا غَنَّـاكِ

---

(1) أُفٍّ له: أيْ قَذَر له.
(2) قَلَاكِ: أبغضك.
(3) الوَغْد: الرَّذْل الدَّنيء.
(4) أَفَّاك: كَذَّاب.
(5) المُحَيَّا: الوَجْه.

مُقْبِلُ الخَيْرِ

شِعْرُ: عَبْدِ اللهِ السويديّ

يَـا دَارَ دَمَّـاجَ، فِيـكِ العِـزُّ وَالكَـرَمُ ०●० وَفِي رُبُوعِـكِ حَـلَّ العُـرْبُ والعَجَـمُ

يَـا دَارَ دَمَّـاجَ، هَـذَا النُّـوْرُ مُنْبَثِـقٌ ०●० يَبُثُّهُ سَهْلُكُمْ[1] وَالغَوْرُ[2] وَالأَكَمُ[3]

مَـا بَـالُ وَادِيكِ ـ يَـا دَمَّـاجُ ـ مُبْتَهِجٌ ०●० وَالسَّهْلُ يَضْحكُ، وَالرُّمَّانُ يَبْتَسِمُ؟!

قَالَتْ ضُيُوفٌ أَتَوْا وَالأَرْضُ مُجْدِبَةٌ ०●० فَاخضَرَّ مِنْهَا الرُّبَا[4] وَالسَّهْلُ وَالعَلَمُ[5]

لَمَّـا تَرَكْنَاكِ ـ يَـا دَمَّـاجُ ـ وَابْتَعَدَتْ ०●० أَرْوَاحُنَـا، ثَـارَ فِينَـا الحُزْنُ وَالنَّـدَمُ

كُنَّـا بِوادِيـكِ وَالأَشْـجَارُ تَجْمَعُنَـا ०●० فِي حَلْقَـةٍ زَادَ فِيهَـا العِلْـمُ وَالحِكَـمُ

يَهْنَـاكِ يَهْنَـاكِ ـ يَـا دَمَّـاجُ ـ قَاطِبَـةً ०●० بِمُقْبِـلٍ قَـدْ أَتَـاكِ العِـزُّ وَالكَـرَمُ

يَا مُقْبِلَ الخَيْرِ، قَدْ حَيَّرْتَ زَائِرَكُمْ ०●० وَاحْتَارَ فِي وَصْفِكَ القِرْطَاسُ وَالقَلَمُ

يَا مُقْبِلُ، أَقْبَلَتْ شَمْسُ الهُدَى، فَتَرَى ०●० غَيَاهِبَ[6] الشِّرْكِ تُمْحَى ثُمَّ تَنْعَدِمُ

قَدْ أَشْرَقَتْ شَمْسُكُمْ وَالأَرْضُ فِي ظُلُمٍ ०●० فَانْجَابَ عَنْهَا الدُّجَى[7] وَانْشَقَّتِ الظُّلَمُ

أَحْيَيْتُمُو سُنَّةً لِلْمُصْطَفَى طُمِسَتْ ०●० وَكَـادَ فَاعِلُهَـا فِي الأَرْضِ يَنْعَـدِمُ

---

(1) السَّهْل ـ بالفتح ـ: ضدُّ الجبل، والجمعُ سُهُولٌ.

(2) الغَوْر ـ بالفتح ـ: المنخفض من الأرضِ، والجمع أغوارٌ.

(3) الأكَم: جمعُ أَكَمَةٍ، وهي ما ارتفع من الأرض.

(4) الرُّبا: جمعُ رَبْوَةٍ ـ بالتثليث ـ، وهي ما ارتفع من الأرض.

(5) العَلَم ـ بالتَّحْريك ـ: الجبل، والجمع أعلامٌ وعِلَامٌ.

(6) غَياهب: جمع غَيْهَبٍ، وهو الظُّلْمَة.

(7) الدُّجَى: جمعُ دُجْيَةٍ ـ بالضَّمِّ ـ، وهي الظُّلْمَة.

وَلِلْأَحَادِيثِ كَرَّسْتُمْ جُهُودكُمُو ○●○ وَلِلْمَلَا قَدْ كَشَفْتُمْ مَا بِهِ سَقَمُ[1]
نَشَرْتُمُو العِلْمَ بِالتَّوحِيدِ فَانْتَشَرَتْ ○●○ مَشَاعِلُ النُّورِ تَسْعَى نَحْوَهَا الأُمَمُ
جَدَّدتُمُو الدِّينَ بَعْدَ القَرْنِ فَانطَلَقَتْ ○●○ كَتَائِبُ مِلْؤُهَا الأَخْلَاقُ وَالشِّيَمُ
يَقُودُهَا مِنْ رِجَالِ الدِّينِ كَوْكَبَةٌ ○●○ يَزِيدُ فِيهَا التُّقَى وَالحِلْمُ وَالقِيَمُ
مِصْدَاقُ مَا قَالَهُ المُخْتَارُ مِنْ كَلِمٍ ○●○ قَدْ صَدَّقَتْهُ الرُّبَا وَالسَّهْلُ والقِمَمُ
لَنَا مَصَابِيحُ فِي جَوْفِ الدُّجَى بَرَقَتْ ○●○ أَضَاءَ مِنْ نُورِهَا الأَغْوَارُ وَالأَكَمُ
قَدْ سَطَّرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ مَلْحَمَةً ○●○ بِدَعْوَةٍ قَدْ وَعَاهَا العُرْبُ والعَجَمُ
وَجَدَّدُوا سُنَّةً لِلنَّاسِ بَالِيَةً ○●○ وَأَصْلَحُوا فِي زَمَانٍ كُلُّهُ نِقَمُ
وَأَرْسَلُوا صَيْحَةً كُبْرَى مُدَوِّيَةً ○●○ فَأَسْمَعَتْ بِصَدَاهَا مَنْ بِهِ صَمَمُ

---

(1) السَّقَم: المرض.

تَحِيَّةٌ إِلَى الشَّيْخِ مُقْبِلٍ

شِعْرُ: أبي رَوَاحَة

مَاذَا أَقُولُ؟ وَمَا اللِّسَانُ سَيَنْطِقُ؟ ○●○ وَأَرَى صُرُوحًا مِنْ عُلُومٍ تَسْمُقُ (1)
وَأَرَى بِدَرْبِي زَهْرَ رَوْضٍ فَائِحًا ○●○ وَأَرِيجُهُ فِي أَرْضِنَا يُسْتَنْشَقُ
يَا شَيْخُ، دَعْوَتُنَا إِلَيكَ سَلَامُنَا ○●○ وَتَحِيَّةٌ مِنَّا تُضِيءُ وَتَبْرُقُ
يَا لَيْتَ أَنِّي فِي رِكَابِكَ لَاحِقٌ ○●○ يَا لَيْتَ أَنِّي فِي سَمَاكَ أُحَلِّقُ
يَا وَادِعِيَّ الخَيْرِ عِلْمُكَ ظَاهِرٌ ○●○ بَلْ صَارَ نَجْمًا فِي السَّمَا يَتَأَلَّقُ
يَا شَيْخَنَا، إِنِّي أَتَيْتُ مُكَبِّرًا ○●○ وَمُهَلِّلًا أَرْنُو لِشَيْخٍ يَرْفُقُ
وَيُعِينُ مَنْ يَسْعَى لِأَعْلَى هِمَّةٍ ○●○ مِنْ طَالِبٍ عِلْمًا يَقُولُ فَيَصْدُقُ
يَا شَيْخَنَا، مَاذَا يُسَطِّرُ حِبْرُنَا؟ ○●○ عَلَمًا يُهَادَى فِي الخَلَائِقِ يَسْمُقُ
يَا عَالِمًا طُرُقَ الحَدِيثِ وَجُّهُ (2) ○●○ وَلَهُ مَعَ الإِسْنَادِ عَهْدٌ يَصْدُقُ
قَدْ عَاشَ بَيْنَ الكُتُبِ دَهْرًا رَائِعًا ○●○ فَلَهُ مَعَ التَّأْلِيفِ جُهْدٌ مُشْرِقُ
إِنَّ الحَدِيثَ بِكُمْ لَنَبْلٌ (3) صَائِبٌ ○●○ ضِدَّ الطُّغَاةِ بِكُلِّ يَوْمٍ يُرْشَقُ (4)
يَا وَادِعِيَّ الخَيْرِ، نَهْجُ رَسُولِنَا ○●○ مَا زَالَ غَضًّا (5) عِنْدَكُمْ يَتَدَفَّقُ

---

(1) تسمق: تعلو وترتفع، وبابُهُ دَخَلَ.

(2) لجّه ـ بالضَّمِّ ـ: أي مُعْظمه.

(3) النَّبل ـ بالفتح ـ: السِّهام، لا واحدَ لها من لَفْظِهَا، وقد جمعوها على نِبَالٍ، وأَنْبَالٍ، ونُبْلَانٍ ـ بالضُّمِّ ـ.

(4) يُرْشَق: يُرْمَى، وبابُهُ نَصَرَ.

(5) الغَضُّ ـ بالفتح ـ: الطَّرِيُّ النَّاظِرُ.

فَلْيَهْنَـإِ الطُّـلَّابُ مِـنْكُمْ مَـنْهَلًا[1] ○●○ إِذْ فِي الحَـدِيثِ مَعَـالِمٌ لَا تُغْـرَقُ
يَـا وَادِعِـيَّ العِلْـمِ، ثَغْـرُكَ بَاسِـمٌ ○●○ وَجَبِـينُ وَجْهِـكَ فِي البَرَايَـا يَـبْرُقُ
هَـذِي مَـشَاعِرُ شَـاعِرٍ مِـنْ قَلْبِـهِ ○●○ لَيْـسَتْ مَقَالَـةَ مَـادِحٍ يَتَمَلَّـقُ[2]
هَـذِي تَحِيَّتُنَـا إِلَيْـكَ وَحَـسْبُنَا ○●○ شَـيْخٌ كَـرِيمٌ عِلْمُـهُ مُتَـدَفِّقُ
ثُـمَّ الـصَّلَاةُ عَـلَى النَّبِـيِّ مُحَمَّـدٍ ○●○ وَالآلِ وَالأَصْـحَابِ نَـوْرًا يُـشْرِقُ



(1) المَنْهَل: المَشْرَب.
(2) يتملَّق: يتودَّد ويُعْطِي بلسانه ما ليس في قَلْبِهِ.

لِشَيْخِ الهُدَى

شِعْرُ: أبي أحمد عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاق

الحَمْدُ للهِ رَبِّ الكَـونِ أَجْـمَعِهِ ○●○ حَمْدًا جَزِيلًا مِنَ الأَعْمَاقِ مَنْبَعُهُ
حَمْدًا وَشُكْرًا لَهُ فِي يَوْمِ أَحْمَدُهُ ○●○ ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى المُخْتَارِ نُتْبِعُهُ
اللهُ أَكْبَرُ قَدْ مَاجَتْ خَمَائِلُنَا[1] ○●○ وَاسْتَبْشَرَ الرَّوْضُ حَتَّى هَلَّ[2] مَدْمَعُهُ
وَاسْتَشْرَفَ الدَّهْرُ وَالتَّارِيخُ مُنْتَبِهٌ ○●○ يُسَجِّلُ اليَوْمَ وَقْعًا دَقَّ مَسْمَعُهُ
قِفْ - يَا زَمَانُ - وَغَنِّ اليَوْمَ رَائِعَتِي ○●○ وَلْتَلْثِمِ[3] - اليَوْمَ - شَيْخًا زَانَ مَطْلَعَهُ
شَيْخٌ عَلَى الحَقِّ قَدْ أَرْسَى[4] دعائِمَهُ[5] ○●○ لَمْ يَخْشَ فِي اللهِ مَنْ بِاللَّوْمِ يَقْرَعُهُ
شَيْخٌ عَلَى النُّورِ قَدْ نَشَرَ الخُطَى، فَلَهُ ○●○ أَقْدَامُ صِدْقٍ إِلَى الآفَاقِ تَرْفَعُهُ
قَدْ سَارَ وَالدَّرْبُ فَوْقَ الجَهْدِ[6] يَا لَأَبِي ○●○ مَنْ لِي بِشَيْخٍ يُسَاوِي - اليَوْمَ - إِصْبَعَهُ
شَيْخٌ بِهِ الخَيْرُ مَعْقُودٌ، وَفِي يَدِهِ ○●○ تَرَى العَطَاءَ سَخِيًّا يَوْمَ يَدْفَعُهُ
يُطَأْطِئُ الجُودُ إِنْ لَاقَاهُ فِي خَجَلٍ ○●○ وَيَنْتَشِي[7] الجُودُ زَهْوًا وَهُوَ يَتْبَعُهُ
نَفْسِي الفِدَاءُ لِشَيْخٍ شَدَّ مِئْزَرَهُ ○●○ وَحَارَبَ الرَّفْضَ[8] حَتَّى دُكَّ أَضْلُعُهُ

---

(1) الخمائل: جمع خميلةٍ، وهي الشَّجر الكثيف المجتمع.

(2) هَلَّ: انصبَّ بشدَّةٍ.

(3) اللَّثم: التَّقبيل، وبابُهُ ضَرَبَ، وسَمِعَ.

(4) أرسى: ثَبَّتَ.

(5) الدَّعائم: جمع دِعامةٍ - بالكسر -، وهي عِماد الشَّيْءِ.

(6) الجُهْد - بالفتح والضَّمِّ -: الطَّاقة.

(7) ينتشي: يَسْكَرُ.

(8) الرَّفْضُ: مَذْهَبُ الرافضةِ، وهم فِرْقَةٌ مِنَ الشِّيعة بايعوا زَيْدَ بنَ عَلِيٍّ، ثُمَّ قالوا له: تبرَّأْ مِنَ الشَّيْخَيْنِ، فَأَبَى وقال: كانا وَزِيرَيْ جَدِّي، فتركوه ورفَضُوهُ وارْفَضُّوا عنه.

وَأَخْمَدَ الفِتْنَةَ الهَوْجَاءَ[1] ثُمَّ أَتَى ○●○ عَلَى التَّصَوُّفِ تَوْحِيدًا يُضَعْضِعُهُ[2]
يَا لَائِمِي، لَا تَلُمْنِي؛ إِنَّ لَوْمَكَ لِي ○●○ ضَرْبٌ مِنَ الجَهْلِ قَدْ ضَلَّتْ[3] مَرَابِعُهُ[4]
وَاسْمَعْ لِشَيْخٍ أَنَاخَتْ فَوْقَ رَاحَتِهِ ○●○ قَوَافِلُ تَحْتَفِي بِالشَّيْخِ[5] تَرْفَعُهُ
طِفْلٌ رَمَى حَجَرًا يَبْغِي بِرَمْيَتِهِ ○●○ أَنْ يُدْنِيَ النَّجْمَ بَيْنَ يَدَيْهِ يُوقِعُهُ
النَّجْمُ نَجْمٌ سَيَبْقَى سَاطِعًا أَبَدًا ○●○ وَالطِّفْلُ طِفْلٌ وَإِنْ غَابَتْ مَرَاضِعُهُ
تَاجَ المَعَارِفِ، ثَوْبُ العِزِّ مَلْبَسُكُمْ ○●○ وَمَنْ يُجَافِيكَ ثَوْبَ العِزِّ يَخْلَعُهُ



(1) الهَوْجاء: الطَّويلة المُسْرِعة.
(2) ضَعْضَعه: هَدَمَهُ حَتَّى الأَرْضِ.
(3) ضَلَّتْ: ضاعَتْ.
(4) المرابع: جمع مَرْبَع ـ بزِنَةِ مَقْعَدٍ ـ، وهو مَنْزِلُ القَوْمِ فِي الرَّبِيعِ خاصَّةً.
(5) تحتفي بالشَّيْخ: تُبالغ في إكرامِهِ وإلطافه والعناية بأَمْرِه.

شَهَادَةُ تَقْدِيرٍ

شِعْرُ: الأخ أبي عمَّارٍ عَبْدِ الكَرِيمِ بْنِ عَبْدِهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الجعْمِيِّ

إِذَا أَنْـتَ لَمْ تُعْـطِ الثَّنَـاءَ لِأَهْلِـهِ ○●○ ظَلَمْتَ وَقَدْ تُعْطِي الثَّنَاءَ إِلَى الغَيْرِ

وَلَا خَـيْرَ فِي شِـعْرٍ إِذَا لَمْ يَكُـنْ بِـهِ ○●○ ثَنَـاءٌ عَـلَى أَهْـلِ المُـرُوءَةِ وَالقَـدْرِ

مِنَ النَّفَرِ الشُّمِّ[1] الَّذِينَ وُجُوهُهُمْ ○●○ تُضِيءُ مِنَ الأَخْلَاقِ وَالنُّبْلِ وَالطُّهْرِ

أُنَـاسٌ مَتَـى مَـا جِئْتَ فِي حَلَقَـاتِهِمْ ○●○ أَتَيْـتَ سَـمَاءً مِـنْ نُجُـومٍ وَمِـنْ بَـدْرِ

رِجَـالٌ تَـرَاهُمْ يَنْتَقُـونَ حَـدِيثَهُمْ ○●○ كَـمَا يُنْتَقَـى فِي نَخْلَـةٍ طَيِّـبُ التَّمْـرِ

هُمُ القَوْمُ ـ حَقًّا ـ لَيْسَ يَشْقَى جَلِيسُهُمْ ○●○ وَإِنْ جَاءَ لَا يَرْجُو الثَّوَابَ مِنَ الذِّكْرِ

فَمَـنْ غَـيْرُهُمْ يَهْـتَمُّ بِـالعِلْمِ صَـادِقًا ○●○ وَيَبْذُلُـهُ لِلنَّـاسِ فِي الـبَرِّ وَالبَحْـرِ؟

سَـتَذْكُرُ مِـنْ خَـيْرِ القُـرُونِ رِجَالَهَـا ○●○ إِذَا جِئْـتَ دَمَّـاجَ الَّتِـي لِلْفَتَـى تُغْـرِي

رَأَيْـتُ بِهَـا شَـيْخًا جَلِـيلًا وَحَوْلَـهُ ○●○ كِرَامٌ عَلَى رَغْمِ الخَصَاصَةِ[2] وَالفَقْرِ

أَتَـوْا مِـنْ جَمِيعِ الأَرْضِ يَبْغُـونَ عِلْمَـهُ ○●○ فَأَقْبَلَ مَدًّا[3] لَيْسَ يُعْرَفُ بِالجَزْرِ[4]

فَمَـنْ عَـرَبِيٍّ لَـيْسَ يَلْحَـنُ[5] لَهْجَـةً ○●○ إِلَى أَعْجَمِـيٍّ لَـيْسَ يَنْطِـقُ بِـالهُجْرِ[6]

---

(1) الشُّمُّ: جمع الأَشَمِّ، وهو السَّيِّد ذُو الأَنَفَةِ.

(2) الخَصاصة ـ بالفتح ـ: الفَقْر.

(3) المَدُّ: اندفاع الماءِ إلى أمامٍ.

(4) الجَزْر: رجوعُ الماءِ إلى خَلْفُ.

(5) اللَّحْن: الخَطَأ في الإعربا، وبابُهُ قَطَعَ.

(6) الهُجْر ـ بالضَّمِّ ـ: الاستهزاء والفُحْش في المَنْطِقِ.

وَتَحْسَبُهُمْ شَتَّى [1] شِيَاتٍ [2] وَسُمْنَةٍ [3] ○●○ وَأَرْوَاحُهُمْ كَالرُّوحِ فِي المَنْهَجِ الفِكْرِي
تَلَاقَوْا عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ تَبَاعُدٍ ○●○ كَمَا يَتَلَاقَى ظَامِيءُ الطَّيْرِ فِي النَّهْرِ
تَعِيشُ إِلَى جَنْبِ الصُّقُورِ حَمَامُهُمْ ○●○ وَقَدْ حِيلَ مَا بَيْنَ الحَمَامَةِ والصَّقْرِ
تَلَاقَوْا عَلَى دِينِ النَّبِيِّ وَإِرْثِهِ ○●○ وَلَيْسَ عَلَى دِينِ التَّحَزُّبِ وَالكُفْرِ
شِعَارُهُمُو أَخْذُ الكِتَابِ وَسُنَّةٍ ○●○ عَلَى فَهْمِ خَيْرِ النَّاسِ فِي السَّبْرِ [4] لِلْغَوْرِ [5]
تَرَاهُمْ يُجِلُّونَ الحَدِيثَ وَأَهْلَهُ ○●○ وَيَسْتَخْرِجُونَ الحُكْمَ مِنْ رِيشَةِ النَّسْرِ
تَرَاهُمْ إِذَا مَا الشَّيْخُ يُلْقِي دُرُوسَهُ ○●○ كَأَنَّ عَلَى هَامَاتِهِم [6] وَاقِفُ الطَّيْرِ
تَذَكَّرْتُ لَمَّا جِئْتَ فِي حَلَقَاتِهِمْ ○●○ بِدَمَّاجَ حَيْثُ المَاءُ وَالظِّلُّ والزَّهْرِ
تَذَكَرْتُ لَمَّا جِئْتَ فِي حَلَقَاتِهِمْ ○●○ وَقَدْ نُشِرَتْ تَحْتَ الظِّلَالِ مِنَ السِّدْرِ
تَذَكَّرْتُ عَصْرَ العِلْمِ وَالزُّهْدِ وَالتُّقَى ○●○ وَسُفْيَانَ وَالشَّعْبِيَّ ذَا القَدْرِ والزُّهْرِي
وَمَا لِي بُدٌّ [7] مِنْ تَذَكُّرِ غَابِرٍ [8] ○●○ مِنَ المَجْدِ وَالعَلْيَاءِ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ
وَقَدْ نَظَرَتْ عَيْنِي شُيُوخًا وَفِتْيَةً ○●○ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ ذِي النَّفْعِ وَالضُّرِّ
تَهُونُ عَلَيْهِمْ لِلْحَدِيثِ مَشَقَّةٌ ○●○ وَسَيْرٌ عَلَى الأَقْدَامِ فِي الشَّوْكِ وَالصَّخْرِ

---

(1) شَتَّى - بزِنَةِ حَتَّى -: أيْ فِرَق.

(2) شِيَات: جمع شِيَةٍ - بزِنَةِ عِدَةٍ -، وهي اللَّوْنُ.

(3) السُّمْنة - بالضَّمِّ -: عُشْبَة ذاتُ وَرَقٍ وقُضْبٍ دقيقة العِيدان، لها نَوْرَةٌ بيضاء، تَنْبُتُ بنجوم الصَّيْفِ، وتَدوم خُضْرَتُها.

(4) السَّبْر: امتحانُ غَوْرِ الشَّيْءِ وبابُهُ نَصَرَ.

(5) الغَوْر - بالفتح -: القَعْرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، والجمع أَغْوَارٌ.

(6) هاماتهم: رءوسهم.

(7) بُدٌّ - بالضَّمِّ -: فراق.

(8) غابر: ذاهب، والجمع غُبَّرٌ.

لَقَدْ جَعلُوا للهِ كُلَّ حَيَاتِهِم ○●○ مِنَ المَالِ وَالعِلْقِ[1] النَّفِيسِ مِنَ العُمْرِ
عَجِبْتُ وَغَيْرِي سَوْفَ يَعْجَبُ إِنْ رَأَى ○●○ كَمَا قَدْ رَأَيْتُ العِلْمَ وَالخُلُقَ الفِطْرِي
إِذَا نَظَرَتْ عَيْنِي يَمِينًا وَيَسْرَةً ○●○ فَلَيْسَ تَرَى إِلَّا المَصَاحِفَ فِي الصَّدْرِ
فَكَمْ حَافِظٍ فِيهِمْ كِتَابًا وَسُنَّةً ○●○ وَكَمْ وَاضِعٍ رَأْسَ اليَرَاعِ[2] عَلَى السَّطْرِ
يَمُجُّ[3] مِنَ العِلْمِ العَزِيزِ يَرَاعُهُ ○●○ عَلَى الوَرَقِ البَيْضَاءِ مِسْكًا مِنَ الحِبْرِ
كَأَنَّ سَوَادَ الحِبْرِ فِي السَّطْرِ مُقْلَةٌ ○●○ مُكَحَّلَةٌ تَبْدُو عَلَى بَيْضَةِ[4] الخِدْرِ[5]
يُنَقُّونَ إِسْنَادَ الحَدِيثِ كَأَنَّمَا ○●○ هُمُ النَّحْلُ يَجْنِي الشَّهْدَ[6] مِنْ شَجَرٍ مُرِّ
بِجَامِعَةٍ لَمْ تُبْصِرِ العَيْنُ مِثْلَهَا ○●○ وَلَيْسَ لَهَا نِدٌّ[7] بِبَغْدَادَ أَوْ مِصْرِ
بِدُونِ دَسَاتِيرَ[8] تُسَيِّرُ نَفْسَهَا ○●○ وَتُزْرِي بِمَا فِي الجَامِعَاتِ مِنَ السَّيْرِ
عَلَى يَمَنِ الإِيمَانِ تُرْسَى كَأَنَّهَا ○●○ سَفِينَةُ نُوحٍ مِنْ حَدِيثٍ وَمِنْ بِرِّ
تَسِيرُ عَلَى اسْمِ اللهِ سِيَّانِ عِنْدَهَا ○●○ خُطُوطُ البَرَارِي أَوْ خُطُوطٌ عَلَى البَحْرِ
تَسِيرُ عَلَى التَّقْوَى عَشِيًّا وَبُكْرَةً[9] ○●○ فَلَا يَصِلُ العَدَّادُ فِيهَا إِلَى الصِّفْرِ
فَلِلَّهِ دَرُّ الرَّاكِبِينَ بِظَهْرِهَا! ○●○ أَلَمْ يَعْبَأُوا بِالمَوْجِ فِي لُجَّةِ الذُّعْرِ؟!

(1) العِلْق ـ بالكسر ـ: النَّفِيس من كُلِّ شيْءٍ.
(2) اليراع ـ بالفتح ـ: القَلَم.
(3) يَمُجُّ: يَرْمِي ويَلْفِظُ، وبابُهُ رَدَّ.
(4) بيضة الخِدْرِ: جاريته.
(5) الخِدْر ـ بالكسر ـ: سِتْرٌ يُمَدُّ للجارية في ناحية البيت، والجمع خُدُور وأَخْدار، وجمعُ الجمعِ أخاديرُ.
(6) الشَّهْد ـ بالفتح ـ: العسل، والجمع شِهاد.
(7) النِّدُّ ـ بالكسر ـ: المِثْل، والجمع أنداد.
(8) الدَّساتير: خُيُوط تُشَدُّ بها ألواحُ السَّفينة، وقيل: هي المسامير، واحدُها دِسار ـ بالكسر ـ.
(9) بُكْرة ـ بالضَّمِّ ـ: أوَّل النَّهار، والجمعُ بُكَرٌ.

تَفَـرَّعَ عَنْهَـا مَعْـبَرٌ، ثُـمَّ مَـأْرِبٌ ○●○ وَصَنْعَاءُ، بَلْ إِبُّ الَّتِي أَرْسَلَتْ شِعْرِي
وَفِي كُـلِّ أَنْحَـاءِ الـبِلَادِ مَرَاكِـزٌ ○●○ نُعَوِّذُهَـا بِـاللهِ مِـنْ أَعْـيُنِ الـشَّرِّ
تُخَـرِّجُ شَـيْخًا بَعْـدَ شَـيْخٍ، فَكُلُّهُـمْ ○●○ بَدَا فِي سَمَاءِ الفَضْلِ كَالكَوْكَبِ الدُّرِّي(1)
بِـدُوْنِ شَـهَادَاتٍ تُقَـدَّمُ، إِنَّمَـا ○●○ ثَنَـاءٌ بِـهِ نَـالُوا مِـنَ العَـالِمِ الحَبْرِ(2)
وَحَسْبُ الغَمَامِ الغُرِّ(3) فَضْلًا وَحُجَّةً ○●○ بِأَنَّ نَدَاهُ(4) فِي ثَرَى(5) السَّهْلِ وَالوَعْرِ
مَكَثْـتُ بِهَـا خَمْـسًا كَـأَنِّي بِعَـالَمٍ ○●○ سِوَى عَالَمِي أُمْسِي وَأُصْبِحُ فِي فِكْرِ
أَبِيـتُ بِـدَمَّاجٍ وَرُوحِـي بِمَكَّـةٍ ○●○ تَشُمُّ عَبِيرَ المَجْدِ فِي الأَنْجُمِ الزُّهْرِ
بِقُرْطُبَـةَ الزَّهْـرَاءِ أَجْلِـسُ سَـاعَةً ○●○ وَأَهْبِطُ أُخْرَى فِي الرُّصَافَةِ وَالجِسْرِ
وَأَرْتَـاحُ مِـنْ هَـذَا الزَّمَـانِ وَأَهْلِـهِ ○●○ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى وَإِنْ كَانَ مِنْ جَمْرِ
أَمَـاكِنُ فِيهَـا كَـانَ لِلْعِلْـمِ صَـوْلَةٌ ○●○ وَلِلْمَجْـدِ آثَـارٌ تَزِيـدُ عَـلَى الحَـصْرِ
أَحِـنُّ حَنِينَ الطَّيْرِ لِلْـوَكْرِ(6) كُلَّمَـا ○●○ تَنَهَّـدَ رَعْـدٌ بَـيْنَ سَـيْئُونَ وَالحِجْـرِ
أَحِـنُّ إِلَى تِلْـكَ الأَمَـاكِنِ كُلَّمَـا ○●○ قَرَأْتُ حُرُوفًا مِنْ ضِيَاءٍ عَلَى سِفْرِ(7)
وَمَـا بِي شَـوْقٌ لِلْخَرَائِـدِ(8) وَالـدُّمَى ○●○ وَلَكِنَّهُ شَوْقٌ إِلَى البِيضِ(9) والسُّمْرِ(10)

---

(1) الكوكب الدُّرِّيُّ ـ بالتَّثْلِيثِ ـ: الثاقب المُضِيء لعظيم مقدارِهِ.
(2) الحَبْرِ ـ بالفتح والكسر ـ: الصَّالح، والجمع أحبار.
(3) الغُرُّ: البيض.
(4) نداه ـ بالفتح ـ: جُوده وكرمه.
(5) الثَّرَى ـ بزِنَةِ الفتى ـ: التُّراب النَّدِيُّ المُبْتَلُّ.
(6) الوَكْر ـ بالفتح ـ: عُشُّ الطَّائر، والجمعُ أَوْكُرٌ، وأَوكارٌ، ووُكُورٌ، ووُكَرٌ.
(7) السِّفْر ـ بالكسر ـ: الكتاب الكبير، والجمع أسفارٌ.
(8) الخرائد: جمع خريدةٍ، وهي البِكْرُ لم تُمَسَسْ، وتُجْمَعُ ـ أيضًا ـ على خُرُدٍ، وخُرَّدٍ.
(9) البِيض: السُّيوف، جمع أَبْيَض.
(10) السُّمر: جمعُ سَمْرَاءَ، وهي النَّاقة الأَدْمَاء.

وَقَدْ لمعَتْ لِلَّهِ فِي سَاحَةِ الوَغَى[1] ○●○ وَلَيْسَ لِرَأْسٍ مِنْ غُرُورٍ وَمِنْ كِبْرِ
تُضِيءُ مَصَابِيحُ الهِدَايَةِ مِثْلَمَا ○●○ تُضِيءُ الدَّرَارِي[2] فِي دُجَى لَيْلَةِ القَدْرِ
وَأَصْوَاتُ خَيْلِ اللهِ عِنْدَ أُولِي النُّهَى[3] ○●○ أَلَذُّ مِنَ الأَصْوَاتِ عِنْدَ ذَوِي الخَمْرِ
نَسِيتُ وَقَدْ حَلَّقْتُ فِي عَالَمِ السُّهَا[4] ○●○ بِأَنِّي أَعِيشُ اليَوْمَ فِي عَالَمِ القَهْرِ
بِعَصْرٍ تَخَلَّى عَنْ حِمَى الدِّينِ أَهْلُهُ ○●○ وَفَرُّوا مِنَ الزَّحْفِ[5] العَظِيمِ إِلَى الإِصْرِ[6]
سِوَى مَعْشَرٍ مَا زَالَ مِنْهُمْ بَقِيَّةٌ ○●○ مِنَ الخَيْرِ يَنْفُونَ المَذَلَّةَ بِالكَرِّ
أُنَاسٌ أَبَاحُونِي رِيَاضًا أَرِيضَةً ○●○ فَرَفْرَفْتُ مَا بَيْنَ الرَّيَاضِينِ وَالنُّورِ
وحَلَّقْتُ فِي جَوٍّ طَلِيقٍ مِنَ الضُّحَى ○●○ كَأَنِّي هَزَارٌ[7] فُكَّ مِنْ شَرَكِ[8] الأَسْرِ
رَعَى اللهُ شَيْخًا أَنْبَتَ الشِّعْرَ فِي فَمِي! ○●○ فَلَوْلَا النَّدَى[9] لَمْ يَنْبُتِ العُشْبُ فِي القَفْرِ[10]
تُذَكِّرُنَا المَاضِي بِزُهْدِكَ والتُّقَى ○●○ وَذَا الشِّعْرَ - أَيْضًا - بِالنَّوَابِغِ فِي الشِّعْرِ
فَكُنْ سَلَفِيًّا - أَيُّهَا الشِّعْرُ - إِنَّمَا ○●○ تَطِيبُ القِنَانِي[11] حِينَ تُمْلَأُ بِالعِطْرِ

---

(1) الوَغَى - بزِنَةِ الفَتَى -: الحَرْب؛ لما فيها مِنَ الصَّوْتِ والجَلَبَة.
(2) الدَّراريّ: الكواكب الدُّرِّيَّة.
(3) النُّهَى: جمع نُهْيَةٍ - بالضَّمِّ -، وهي العَقْلُ؛ لأنه يَنْهَى عَنِ القبيح.
(4) السُّهَا: كوكب خَفِيٌّ يمتحن الناس به أَبْصَارَهُمْ.
(5) الزَّحْف - بالفتح -: الجيش يَزْحَفُونَ إلى العَدُوِّ.
(6) الإِصْر - بالكسر -: الذَّنْب، والجمع آصارٌ، وإِصْرَانٌ.
(7) الهَزار - بالفتح -: العَنْدَلِيب.
(8) الشَّرَك - بالتحريك - : حبائل الصَّائِد يَرْتَبِكُ فيها الصَّيْدُ، وما يُنْصَبُ للطَّيْرِ، واحدتُها شَرَكَةٌ، وجَمْعُهَا شُرُكٌ.
(9) النَّدَى - بالتحريك -: المطر.
(10) القفر - بالفتح - : الخَلَاء من الأرض، والجمع قِفَارٌ، وقُفُورٌ.
(11) القِنَاني: جمعٌ خاطيءٌ لِقِنِّينةٍ - بالكسرِ والتَّشديد -، وهي وِعاء مِنْ زُجاجٍ، وصوابُ جَمْعِها قِنانٌ.

وَلَا تَحْسَبَنَّ الشِّعْرَ خَيْلًا مُطَهَّمًا[1] ○●○ تَؤُمُّ[2] بِهِ بَابَ الوُلَاةِ أُولِي الأَمْرِ
وَلَكِنَّهُ صَوْتَانِ: صَوْتُ تَمَلُّقٍ ○●○ وَصَوْتٌ بِهِ تُجْلَّى[3] الحَقَائِقُ لِلْغِرِّ[4]
كَمَا العِلْمُ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ ○●○ كَذَا الشِّعْرُ يَسْمُو بِالدِّفَاعِ عَنِ الثَّغْرِ
إِذَا جَاءَ مِنْ رَبِّ القَوَافِي مُنَخَّلًا ○●○ وَإِلَّا فَإِنَّ الشِّعْرَ ضَرْبٌ مِنَ الهَذْرِ[5]
فَهَاكَ قَوَافٍ كَالنُّجُومِ مُضِيئَةً ○●○ تَلُوحُ عَلَى أُفْقٍ مِنَ الوَرَقِ الخُضْرِ
أَعِرْهَا اهْتِمَامًا ـ يَا أُخَيَّ ـ فَإِنَّمَا ○●○ يَفُوزُ بِدُرٍّ مَنْ يَغُوصُ إِلَى القَعْرِ
وَلَا تَنْسَى أَنِّي قَدْ مَزَجْتُ مِدَادَهَا ○●○ بِدَمْعِي، وَعَرَضْتُ الوِصَالَ إِلَى الهَجْرِ
سَلَامٌ إِلَى الشَّيْخِ الجَلِيلِ أَزُفُّهُ ○●○ سَرَى مِنْ رِيَاضِ القَلْبِ أَذْكَى[6] مِنَ النَّشْرِ[7]
وَدَمَّاجُ تُوحِي بِالسَّكِينَةِ وَالتُّقَى ○●○ وَفِي أَهْلِهَا مِنْهَا جَمَالٌ مِنَ السِّحْرِ
كَأَنَّ عَنَاقِيدَ الفَوَاكِهِ وَالجَنَى[8] ○●○ نُجُومُ الثُّرَيَّا[9] عُلِّقَتْ فِي ثَرَى البَرِّ
فَمَا شِئْتَ مِنْ ظِلٍّ وَنَهْرٍ وَرَوْضَةٍ ○●○ كَأَنَّ نَسِيمَ الرِّيحِ فِيهَا مِنَ البِشْرِ

---

(1) المُطَهَّم ـ بزِنَةِ المُعَظَّمِ ـ: البارع الجمال.

(2) الأَمُّ: القَصْد، وبابُهُ رَدَّ.

(3) تُجلى: تُكْشَفُ.

(4) الغِرّ ـ بالكسر ـ: الَّذِي لا يَفطَنُ للشَّرِّ ويَغْفُلُ عنه، والجمع أغرار.

(5) الهَذْر: الهَذَيان والتكلُّم بغير مَعْقُولٍ.

(6) أذكى: أَسْطَع رِيحًا.

(7) النَّشْر ـ بالفتح ـ: الرِّيح الطَّيِّبَة.

(8) الجَنَى ـ بالتَّحريكِ ـ: ما جُنِيَ من الثَّمَرِ.

(9) الثُّرَيَّا ـ بالتصغير على جِهَةِ التَّكْبِيرِ ـ: سبعة كواكب مُجْتَمِعَة.

وَمَا شِئْتَ مِنْ رَمْلٍ قَشِيبٍ[1] كَأَنَّهُ ○●○ سَرِيرٌ مِنَ الدِّيبَاجِ[2] وَالرِّيشِ وَالتِّبْرِ[3]

تَـرَاهُمْ عَـلَى كُثْبَانِـهِ[4] قَـدْ تَنَـاثَرُوا ○●○ كَـأَنَّهُمو سِـمْطٌ[5] تَنَـاثَرَ مِـنْ دُرِّ

أَتَخْتَارُ دَمَّاجَ الَّتِي قَدْ تَضَمَّخَتْ[6] ○●○ بِعِطْرِ المَثَانِي[7] أَنْ تُضَمَّخَ بِالزَّمْرِ[8]؟!

أَلَيْسَتْ بُذُورُ الخَيْرِ مَهْمَا تَأَخَّرَتْ ○●○ سَتَخْرُجُ مِنْ بَطْنِ التُّرَابِ إِلَى الظَّهْرِ؟

أَرَاهَـا ـ بِفَضْلِ اللهِ ثُـمَّ بِشَيْخِهَا ـ ○●○ قَدِ التَحَفَتْ ثَوْبًا مِنَ المَجْدِ لَا يُزْرِي

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي[9] هَلْ سَتَبْقَى مَحَطَّةً ○●○ تَجِيءُ إِلَيْهَا الطَّيْرُ مِنْ نَائِيَ[10] الوَكْرِ

تَـرُوحُ وَتَغْـدُو فِي ثِيَـابٍ مِـنَ العُـلَا ○●○ تُنَافِسُ أَرْضَ الشَّامِ أَوْ نَجْدَ فِي الذِّكْرِ

أَمِ الرَّفْضُ فِيهَا سَوفَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ ○●○ لِيَخْمِشَ وَجْهَ الحَقِّ بِالنَّابِ وَالظُّفْرِ؟!

سُـؤَالٌ بِنَفْسِـي لَا أَوَدُّ إِجَابَـةً ○●○ عَلَيْـهِ، وَأَرْجُـو أَنْ يَبِـينَ لِي عُـذْرِي

(1) قشيب: نظيف، والجمع قُشُبٌ، وقُشْبَانٌ ـ بالضَّمِّ ـ.

(2) الدِّيباج ـ بالكسر وقد يُفْتَحُ ـ: الثِّياب المُتَّخذة من الإبْرَيْسَم والحرير، والجمع دَبابيجُ، ودبابيجُ.

(3) التِّبْر ـ بالكسر ـ: الذهب والفِضَّة.

(4) الكُثْبان ـ بالضَّمِّ ـ: جمعُ كَثِيبٍ، وهو التَّلُّ مِنَ الرَّمْلِ، ويُجْمَعُ ـ أيضًا ـ على أَكْثِبَةٍ، وكُثُبٍ.

(5) السِّمْط ـ بالكسر ـ: قِلادةٌ أَطْوَلُ مِنَ المِخْنَقَةِ، والجمعُ سُمُوطٌ.

(6) تَضَمَّخَتْ: تَلَطَّخَتْ.

(7) المَثاني: القُرآن.

(8) الزَّمْر: الغناء في المزامير والقَصَبِ.

(9) لَيْتَ شِعْرِي: ليتني أَعْلَمُ.

(10) النَّائي: البعيد، وبابُهُ سَعَى.

طُلَّابُه

طُلَّاب الشَّيْخ لَا يَعُدُّهُم الْعَادُّ لِكَثْرَتِهِمْ، فَقَدْ كَانَ لِلشَّيْخِ نَشَاطٌ عَجِيبٌ، وَلَهُ حَظٌّ عَظِيمٌ مِنَ التَّوْفِيقِ وَالقَبْولِ مَا لَا يُوصَفُ (وَلَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ)، وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ كَثْرَةُ الطُّلَّابُ الْمُنْتَشِرِينَ فِي أَصْقَاعِ الْأَرْضِ، وَقَدْ وَفَّقَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعْضَهُمْ لِفَتْحِ الْمَرَاكِزِ الْعِلْمِيَّةِ فِي الْيَمَنِ وَغَيْرِهَا.

شُيُوخَ الْبِلَادِ، أُلُوفُ الْعِبَادِ ○●○ عِيَالٌ عَلَيْكُم بِمَا حَصَّلُوا
وَدُورُ الْحَدِيثِ هُنَا أَوْ هُنَاكَ ○●○ بُدُورٌ، وَبَدْرُكُمُ الْأَوَّلُ
وَفِي سَائِرِ الْأَرْضِ ذِكْرٌ لَكُمْ ○●○ وَيَا لَلْبَسَاطَةِ مَا تَفْعَلُ؟!
وَأَنْتَ الْمُجَدِّدُ فِي أَرْضِنَا ○●○ لِمَا سَنَّهُ السَّلَفُ الْكُمَّلُ
فَكَابْنِ الْوَزِيرِ، وَكَابْنِ الْأَمِيرِ ○●○ وَكَالْمُقْبِلِيِّ، مَضَى مُقْبِلُ [1]

---

(1) مِنْ قَصِيدَةٍ لِمُحَمَّدِ الصَّادِقِ فِي رِثَاءِ الإِمَامِ الوَادِعِيِّ، والأَخُ مُحَمَّدٌ الصَّادِقُ رَجُلٌ عَاقِلٌ فِيمَا نَحْسَبُهُ، لَكِنَّهُ عَرَفَ خَطَأَ طَرِيقَةِ الإِخْوَانِ، وَلَا سِيَّما فِي السَّعْيِ لِإِقَامَةِ الدَّوْلَةِ كَما فِي قَصِيدَةٍ لَهُ بِعُنْوَانِ: «فِتْنَةِ الدُّهَيْمَاءِ فِي العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ»، فَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ طَرِيقَتَهُمْ خِلَافُ مَا عَلَيْهِ السَّلَفُ الْمُقْتَدَى بِهِمْ، ثُمَّ ظَلَّ - إِلَى الآنِ - يَعْمَلُ مَعَهُمْ، فَمَا أَحْرَاهُ أَنْ يَتْرُكَهُمْ، وَيَتْرُكَ مَنْ يَسْلُكُ مَسْلَكَهُمْ حَذْوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ، وَيَسْعَى لِاسْتِلَامِ الدُّورِ بِاسْمِ السَّلَفِيَّةِ كَحَالِ أَصْحَابِ الجَمْعِيَّاتِ.

وَالسَّعِيدُ مَنِ اتَّعَظَ بِغَيْرِهِ، فَقَدْ عَرَفْتُ الدَّاءَ وَأَنَا مَعَهُمْ عَلَى الخَطِّ، فَاجْتَهَدْتُ فِي وَصْفِ الدَّوَاءِ، لَكِنِّي سُرْعَانَ مَا أَدْرَكْتُ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يُوَسِّعُ الخَرْقَ عَلَى الرَّاقِعِ بِدَعْوَى أَنَّ ذَلِكَ تَشَدُّدٌ وَلَا دَاعِيَ لَهُ فَهَلْ مِنْ مُعْتَبِرٍ.

ثُمَّ انْتَقَلْتُ بَيْنَ الجَمْعِيَّاتِ لَعَلَّ وَعَسَى لَكِنِّي اكْتَشَفْتُ فِي النِّهَايَةِ أَنَّهَا لَا تُؤَدِّي إِلَّا إِلَى نَتِيجَةٍ وَاحِدَةٍ، وَتَصُبُّ فِي مَصَبٍّ وَاحِدٍ، وَهِيَ طَرِيقَةُ الإِخْوَانِ: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (فاطر: ١٤)، مَنْ أَرَادَ المَزِيدَ فَعَلَيْهِ بِكِتَابِي: «رِسَالَةٌ أَخَوِيَّةٌ، لِمَاذَا تَرَكْتُ دَعْوَةَ الإِخْوَانِ، وَاتَّبَعْتُ المَنْهَجَ السَّلَفِيَّ؟»، فَإِنَّ فِيهِ مَا يَكْفِي وَيَشْفِي، وَأَقُولُ لِلأَخِ مُحَمَّدِ الصَّادِقِ: اعْتَبِرْ بِحَالِ شَيْخِنَا حِينَ كَانَ مُدِيرًا لِمَعْهَدٍ عِلْمِيٍّ بِدَمَّاج، وَكَيْفَ كَانَ حَالُهُ مَعَ الإِخْوَانِ يُرِيدُ حَيَاتَهُمْ، وَيُرِيدُونَ مَوْتَهُ، لَكِنْ لَمَّا تَرَكَهُمْ صَارَ إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنَ الخَيْرِ!!!.

مُؤَلَّفَاتِهِ

مُؤَلَّفَاتُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قِسْمَانِ: قَسَمٌ أَلَّفَهُ وَهُوَ فِي أَرْضِ الْحَرَمَيْنِ، وَقِسْمٌ أَلَّفَهُ وَهُوَ فِي الْيَمَنِ.

◆ الْكُتُبُ الَّتِي أُلِّفَتْ فِي أَرْضِ الْحَرَمَيْنِ:

1- «الطَّلِيعَةُ فِي الرَّدِّ عَلَى غُلَاةِ الشِيعَةِ».

2- «تَحْرِيمُ الْخِضَابِ بِالسَّوَادِ».

3- «شَرْعِيَّةُ الصَّلَاةِ بِالنِّعَالِ».

4- «الصَّحِيحُ الْمُسْنَدُ مِنْ أَسْبَابِ النُّزُولِ»[1].

5- بَحْثٌ حَوْلَ الْقُبَّةِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى قَبْرِ الرَّسُولِ ﷺ.

6- تَحْقِيقُ وَدِرَاسَةُ «الْإِلْزَامَاتِ وَالتَّتَبُّعِ» لِلدَّارَقُطْنِيِّ[2].

---

(1) قُدِّمَ رسالةً لِكُلِّيَّةِ الدَّعْوَةِ، بإشرافِ الشيخ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ بْنِ فَايِدٍ.

(2) قَدَّمَ رسالةَ ماجستيرٍ للدِّراساتِ العُلْيا، بإشْرافِ الشيخِ مُحَمَّدٍ الأَمِينِ المِصْرِيِّ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَشْرَفَ عَلَيْهَا السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ الحَكِيمُ المِصْرِيُّ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ عَنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ: «لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ، لَأَشَرْتُ عَلَى الشَّيْخِ مُقْبِلٍ ـ صَاحِبِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ ـ بِأَنْ يَقْتَصِرُ بَحْثَهُ عَلَى أَحَدِ المَوْضُوعَيْنِ؛ لِيَنَالَ بِهِ دَرَجَةَ المَاجِسْتِيرِ، وَيَدَّخِرَ المَوْضُوعَ الثَّانِي لِيَنَالَ بِهِ شَهَادَةَ الدُكْتُورَاةِ، فَيَجْعَلَ المَاجِسْتِيرَ لِلإِلْزَامَاتِ، وَيَجْعَلَ الدُّكْتُورَاةَ لِلتَّتَبُّعِ». انظر «غارة الأشرطة» (2/336).

وقالَ ـ أيضًا ـ: «لَوْ كَانَتْ قَوَانِينُ الجَامِعَةِ تُبِيحُ مَنْحَ الطَّالِبِ شَهَادَةَ الدُّكْتُورَاةِ مِنَ الآنِ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ؛ لَشَجَّعْتُهُ عَلَى أَنْ يَتَقَدَّمَ لِشَهَادَةِ الدُّكْتُورَاةِ مُبَاشَرَةً لَا لِشَهَادَةِ المَاجِسْتِيرِ» المرجع السابق (2/336).

♦ الْكُتُبُ الَّتِي أُلِّفَتْ فِي الْيَمَنِ :

1- «الشَّفَاعَةُ».

2- «رِيَاضُ الْجَنَّةِ فِي الرَّدِّ عَلَى أَعْدَاءِ السُّنَّةِ».

3- تَحْقِيقُ وَتَخْرِيجُ مُجَلَّدَيْنِ مِنْ «تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ»[1].

4- «الصَّحِيحُ الْمُسْنَدُ مِمَّا لَيْسَ فِي الصَّحِيحَيْنِ».

5- «إِرْشَادُ ذَوِي الْفِطَنِ لِإِبْعَادِ غُلَاةِ الرَّوَافِضِ مِنَ الْيَمَنِ».

6- «السُّيُوفُ الْبَاتِرَةُ لِإِلْحَادِ الشُّيُوعِيَّةِ الْكَافِرَةِ».

7- «الْمُخْرَجُ مِنَ الْفِتْنَةِ».

8- «الصَّحِيحُ الْمُسْنَدُ مِنْ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ».

9- «الْإِلْحَادُ الْخُمَيْنِيُّ فِي أَرْضِ الْحَرَمَيْنِ».

10- «الْجَامِعُ الصَّحِيحُ فِي الْقَدَرِ».

11- «رُدُودُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى الطَّاعِنِينَ فِي حَدِيثِ السِّحْرِ».

12- «الْجَمْعُ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ فِي السَّفَرِ».

13- «قُرَّةُ الْعَيْنِ فِي أَجْوِبَةِ قَائِدِ الْعَلَابِيِّ وَصَاحِبِ الْعُدَيْنِ».

14- «الْفَوَاكِهُ الْجَنِيَّةُ فِي الْخُطَبِ وَالْمُحَاضَرَاتِ السَّلَفِيَّةِ».

15- «الْمُصَارَعَةُ».

16- «قَمْعُ الْمُعَانِدِ وَزَجَرَ الْحَاقِدِ الْحَاسِدِ».

---

(1) وصل فيه إلى سورة المائدةِ، والباقي يقومُ به الطلابُ.

17- «الْجَامِعُ الصَّحِيحُ مِمَّا لَيْسَ فِي الصَّحِيحَيْنِ»[1].

18- «إِجَابَةُ السَّائِلِ عَلَى أَهَمِّ الْمَسَائِلِ».

19- «مَقْتَلِ الشَّيْخِ جَمِيلِ الرَّحْمَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ».

20- «غَارَةُ الأَشْرِطَةِ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ وَالسَّفْسَطَةِ».

21- «غَارَةُ الْفِصَلِ عَلَى الْمُعْتَدِينَ عَلَى كُتُبِ الْعِلَلِ».

22- «أَحَادِيثُ مُعَلَّةٌ ظَاهِرُهَا الصِّحَّةُ».

23- تَتَبُّعُ أَوْهَامِ الْحَاكِمِ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» الَّتِي لَمْ يُنَبِّهْ عَلَيْهَا الذَّهَبِيُّ، مَطْبُوعٌ مَعَ «الْمُسْتَدْرَكِ» بِاسْمِ «رِجَالِ الْحَاكِمِ».

24- «تُحْفَةِ الشَّابِّ الرَّبَّانِيِّ فِي الرَّدِّ عَلَى الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيِّ فِي شَأْنِ الِاسْتِمْنَاءِ».

25- «إِيضَاحُ الْمَقَالِ فِي أَسْبَابِ الزِّلْزَالِ».

26- «إِعْلَانُ النَّكِيرِ عَلَى أَصْحَابِ عِيدِ الْغَدِيرِ» مَطْبُوعٌ مَعَ «غَارَةِ الْأَشْرِطَةِ».

27- «فَضَائِحُ وَنَصَائِحُ».

28- «إِسْكَاتُ الْكَلْبِ الْعَاوِي يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْقَرْضَاوِيِّ».

29- «تُحْفَةُ الْمُجِيبِ عَلَى أَسْئِلَةِ الْحَاضِرِ وَالْغَرِيبِ».

30- «ذَمُّ الْمَسْأَلَةِ».

31- «هَذِهِ دَعْوَتُنَا وَعَقِيدَتُنَا».

---

(1) لقد نَهَجَ الشيخُ في تَرْتِيبِهِ وَتَبْوِيبِهِ مَنْهَجَ الإمامِ البُخاريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِهِ».

32- «الْقَوْلُ الْمُبِينُ فِي بَيَانِ فَضَائِحِ الْمُذَبْذَبِينَ».

33- «الْبَاعِثُ عَلَى شَرْحِ الْحَوَادِثِ».

34- «الصَّحِيحُ الْمُسْنَدُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِالْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ»[1].

35- «تَحْرِيمُ تَصْوِيرِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ».

36- «نَشْرُ الصَّحِيفَةِ».

37- «الْمُقْتَرَحُ فِي أَجْوِبَةِ أَسْئِلَةِ الْمُصْطَلَحِ».

38- «تَرْجَمَةُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُقْبِلِ بْنِ هَادِي الْوَادِعِيِّ».

39- «فَتْوَى فِي الْوَحْدَةِ مَعَ الشُّيُوعِيِّينَ».

40- «تَرَاجِمُ رِجَالِ الدَّارَقُطْنِيِّ».

41- «رِثَاءُ الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ».

42- «الْبُرْكَانِ لِنَسْفِ جَامِعَةِ الْإِيمَانِ».

43- «صَعْقَةُ الزِّلْزَالِ عَلَى أَهْلِ الرَّفْضِ وَالِاعْتِزَالِ».

44- «نَصِيحَتِي لِأَهْلِ السُّنَّةِ».

45- «فَتَاوَى الْعَقِيدَةِ».

46- «إِجَابَةُ الْقَبَسِ».

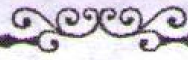
47- «إِرْشَادُ الْحَائِرِ».

48- «رِجَالُ الْحَاكِمِ فِي الْمُسْتَدْرَكِ 1، 2».

(1) لم يكمل؛ فَقَدْ عَاجَلَتْهُ مَنِيَّتُهُ قَبْلَ أَنْ يُتِمَّهُ.

وَلَهُ مَا يَزِيدُ عَلَى أَلْفِ شَرِيطٌ، وَقَدْ تَمَّ تَفْرِيغ بَعْضِهَا، وَلَا يَزَالُ طُلَّابُهُ يَتَنَافَسُونَ عَلَى خِدْمَةِ عِلْمِهِ كَمَا خَدَمَ طُلَّابُ مَالِكٍ مَالِكًا، حَتَّى قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ أَفْقَهُ مِنْ مَالِكٍ، لَكِنَّ طُلَّابَهُ لَمْ يَقُومُوا بِهِ.

سَيَذْكُرُكَ الْعِلْمُ الَّذِي كُنْتَ نُورَهُ ∘•∘ وَيَذْكُرُكَ الْقَوْلُ الْمُسَدَّدُ وَالْفِكْرُ
سَيَذْكُرُكَ الْخَيْرُ الْعَمِيمُ نَشَرْتَهُ ∘•∘ وَيَذْكُرُكَ الدَّرْسُ الْمُبَارَكُ وَالذِّكْرُ
سَيَذْكُرُكَ الْعِبَادُ فِي صَلَوَاتِهِمْ ∘•∘ وَيَذْكُرُكَ النُّسَّاكُ وَالزُّهْدُ وَالطُّهْرُ



دَارَ الحَدِيثُ

قَدِمَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ دَمَّاجُ وَالْكُلُّ عاكِفٌ عَلَى هَوَاهُ، وَكَانَتِ الْبِيئَةِ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا بِيئَةً شِيعِيَّةً، تَعُجُّ بِالْخُرافَاتِ عَجِيجًا، فَقَدْ جَثَمَ التَشَيُّعَ فِي الْيَمَنِ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ عَامٍ، فَكَانَ كَالْغَيْثِ أَصَابَ أَرْضًا نَقِيَّةً قَبِلَتْ الْمَاءَ، وَمِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا أُنَاسًا جَاءُوا مِنْ أَصْقَاعِ الْأَرْضِ، شَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَحَمَلُوا مِنْهَا إِلَى أَرْضِهِمْ فَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ.

وَأَصَابَ طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ[1]، لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلأً ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ (النور: ٤٠).

قَالَ تَلْمِيذُهُ الْبَارُّ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ يَحْيَى بَنِ عَلِيٍّ الْحَجُورِيُّ - حَفِظَهُ اللهُ -: «مِنَ الْمَعْلُومِ بِيَقِينٍ أَنَّ شَيْخَنَا الْعَلَّامَةَ الْوَادِعِيَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ خَرَجَ مِنَ الدِّيَارِ السُّعُودِيَّةِ إِلَى الْبِلَادِ الْيَمَنِيَّةِ قَبْلَ نَحْوِ رُبُعِ قَرْنٍ، فِي جَوٍّ مُظْلِمٍ بِالتَّشَيُّعِ، وَالتَّصَوُّفِ، وَالتَّحَزُّبِ، وَدُعَاءِ غَيْرِ اللهِ عز وجل، وَالتَّمَسُّحِ بِأَتْرِبَةِ الْقُبُورِ، وَالْجَهْلِ الْمُطْبِقِ، فَتَنَكَّرَ لِدَعْوَتِهِ الْكَثِيرُ، وَسَانَدَهُ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ النَّزْرُ[2] الْيَسِيرُ، فَصَبَرَ وَصَابَرَ، وَدَعَا وَعَلَّمَ، وَاجْتَهَدَ وَثَابَرَ، بِمَا آتَاهُ اللهُ مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، فِيمَا نَحْسَبُهُ، وَاللهُ حَسِيبُهُ»[3].

(1) قِيعان: جمع قاعٍ، وهي الأرض الحُرَّة الطِّين الَّتي لا يُخالطها رَمْلٌ، فيشربَ ماءها، وهي مستوية ليس فيها تطامُنٌ ولا ارتفاعٌ.

(2) النَّزر ـ بالفتح ـ: القليل.

(3) انظر «الطَّبقات» (ص24).

أَتَى صَعْدَةَ الْغَرَّاءَ وَالْكُلُّ عَاكِفٌ ○●○ عَلَى هَوَه وَالرَّفْضُ فِي قِمَّةِ الخَتْرِ[1]
فَنَازَلَهُ حَتَّى بَنَى فَوْقَ رَأْسِهِ ○●○ بِدَمَّاجَ صَرْحًا لَا تَطَالُ يَدُ الدَّهْرِ
وَأَحْيَا قُلُوبًا كَانَ قَدْ مَاتَ أَهْلُهَا ○●○ مِنَ الجَهْلِ بِالْعِلْمِ الشَّرِيفِ وَبِالذِّكْرِ
إِلَى سُنَّةِ الْمُخْتَارِ يَمَّمَ[2] وَجْهَهُ ○●○ وَلَمْ يَلْتَفِتْ - يَوْمًا - لِزَيْدٍ وَلَا عَمْرِو
فَكَانَتْ لَهُ شُغْلًا عَنِ النَّاسِ شَاغِلًا ○●○ وَدَيْدَنَهُ[3] فِي حَالَةِ الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
فَلَمْ يَتَّخِذْ عَنْهَا بَدِيلًا، وَلَمْ يَكُنْ ○●○ فَقِيدَ الهُدَى وَالْعِلْمِ مِمَّنْ بِهَا يَشْرِي
وَسَافَرَ فِي طُولِ الْبِلَادِ وَعَرْضِهَا ○●○ لِتَبْلِيغِهَا مُسْتَسْهِلًا كُلَّ ذِي وَعْرِ
وَلَازَمَ فِي دَمَّاجَ عِشْرِينَ حِجَّةً[4] ○●○ مُكِبًّا عَلَى التَّأْلِيفِ وَالْعِلْمِ وَالنَّشْرِ
فَجَاءَ مُرِيدُ العِلْمِ مِنْ كُلِّ بَلْدَةٍ ○●○ وَأَمَّتْهُ أَفْوَاجُ الدُّعَاةِ بِلَا حَصْرِ
وَأَحْيَا بِهِ اللهُ الشَّرِيعَةَ بَعْدَمَا ○●○ رَسَتْ فِي مُحِيطِ الجَامِدِينَ فَلَمْ تَجْرِ
وَجَدَّدَ مِنْ أَعْلَامِهَا كُلَّ مَا انْمَحَى ○●○ وَبَيَّنَهَا حَتَّى قَضَى كُلَّ ذِي عُذْرِ
وَسَفَّهَ أَفْكَارَ التَّشَيُّعِ فَانْتَهَى ○●○ إِلَى ذِلَّةٍ لَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ فِكْرِ
وَنَازَلَ أَرْبَابَ التَّصَوُّفِ وَالْفَنَا ○●○ وَكَمْ ظَلَّ ذَاكَ الدَّاءُ فِي الجِسْمِ يَسْتَشْرِي
وَنَاظَرَ أَتْبَاعَ الخَوَارِجِ وَانْبَرَىٰ ○●○ لِحَرْبِ جُمُوعِ الخَارِجِينَ عَنِ الأَمْرِ
وَكَانَ بِحَقٍّ مَعْلَمًا بَلْ مُجَدِّدًا ○●○ وَلَمْ يَنْحَصِرْ تَجْدِيدُهُ دَاخِلَ الْقُطْرِ

---

(1) الختر: الغلَط.

(2) يمَّمَ: قصَدَ.

(3) الدَّيْدَن - بفتح الدَّالين -: العادة.

(4) الحِجَّة - بالكسر -: السَّنَة، والجمع حِجَجٌ.

وَلَكِنْ سَرَى شَرْقًا وَغَرْبًا وَلَمْ يَزَلْ ○●○ بِمَوْرُوثِهِ الْعِلْمِيِّ بَيْنَ الْوَرَى يَسْرِي(1)

وَكَانَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدِ ابْتُلِيَ كَثِيرًا مِنْ دُعَاةِ التَّشَيُّعِ، وَالتَّصَوُّفِ، وَالتَّحَزُّبِ، وَمِنْ بَعْضِ طُلَّابِهِ، وَخَاصَّةً بَعْدَ خُرُوجِ شَرِيطٍ لَهُ بِعُنْوَانِ: (الْبَرَاءَةُ مِنَ الْحِزْبِيَّةِ)، فَلَمْ يَزِدْهُ ذَلِكَ إِلَّا صَلَابَةً فِي الْحَقِّ وَتَمَسُّكًا بِالسُّنَّةِ، وَعَلَى هَذَا مَضَى تَحَدُّوهُ شُجَاعَةٌ نَادِرَةٌ، وَتَوَكُّلٌ عَزِيزٌ، فَلَمْ يَمُتْ حَتَّى قَرَّتْ عَيْنُهُ بِانْتِشَارِ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَيْسَ فِي الْيَمَنِ وَحْدَهَا، بَلْ وَفِي بِلَادٍ شَتَّى، وَلَا يَزَالُ طُلَّابُهُ عَلَى الدَّرْبِ سَائِرِينَ.

يَقُولُونَ: قَدْ أَدْبَرْتَ!، لَا وَالَّذِي بَرَى ○●○ فُؤَادَكَ عِلْمًا، إِنَّمَا أَنْتَ مُقْبِلُ
شُمُوسُكَ مَا زَالَتْ عَلَيْنَا سَوَاطِعًا ○●○ تُبِيدُ دُجَى الظَّلْمَاءِ وَاللَّيْلُ اللَّيْلُ
وَأَقْمَارُكَ الْأَفْذَاذُ(2) مَا زَالَ عَرْفُهُمْ(3) ○●○ عَلَى دَرْبِكَ الْوَضَّاءِ لَمْ يَتَحَلْحَلُوا(4)(5)

---

(1) مِنْ قَصِيدَةٍ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ غَالِبٍ الْحِمْيَرِيِّ، وَقَدْ كَانَ مِنْ طُلَّابِ الشَّيْخِ الأَذْكِيَاءِ، لَكِنْ عَادَ وَتَنَكَّرَ لِشَيْخِهِ، وَقَلَبَ لَهُ ظَهْرَ المِجَنِّ، وَرَدَّ عَلَى شَيْخِهِ فِي شَرِيطٍ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْنَ أَشْرِطَتُكَ فِي الرَّدِّ عَلَى الشُّيُوعِيِّينَ وَالبَعْثِيِّينَ وَالنَّاصِرِيِّينَ الَّذِينَ احْتَلُّوا البِلَادَ وَحَارَبُوا دِينَ اللهِ؟، أَهِبْتَهُمْ؟، وَاسْتَضْعَفْتَ شَيْخَكَ وَمُعَلِّمَكَ الَّذِي اسْتَفَدْتَ مِنْهُ كَثِيرًا مِنَ العِبَارَاتِ المَوْجُودَةِ فِي الشَّرِيطِ، وَصَارَ حَالِي وَحَالُكَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

أُعَلِّمُهُ الرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ ○●○ فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي
وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ القَوَافِي ○●○ فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِي

من كتاب «قمع المعاند» (1/130)، باب: الإشفاق على الطالب العاقّ، والقصيدةُ رائعة الروائع، فلولا أنه كدَّرها بما لا يَحْسُنُ في الرِّثاء، لنقلتُها برُمَّتِها فهي نَحْوٌ مِنْ خَمْسَةٍ وثَمانِينَ بَيْتًا.

(2) الأفذاذ: جمع فَذٍّ ـ بالفتح ـ، وهو الفَرْد، ويُجْمَعُ ـ أيضًا ـ على فُذُوذٍ.

(3) العَرْف ـ بالفتح ـ: الرِّيح.

(4) لم يَتَحَلْحَلُوا: لم يَزُولُوا عن دَرْبِكَ.

(5) من قصيدةٍ لأستاذي الكريم عَبْدِ الكَرِيمِ العماد، وسيأتي ذِكْرُها بكاملِها ـ إن شاء الله ـ.

وَصْفُ دَارِ الْحَدِيثِ

دَارُ الْحَدِيثِ عِبَارَةٌ عَنْ مُجَمَّعٍ عِلْمِيٍّ يَتَكَوَّنُ مِنْ:

1- مَسْجِدٍ كَبِيرٍ لِلرِّجَالِ، وَمَسْجِدٍ لِلنِّسَاءِ، وَمَسْجِدٍ قَدِيمٍ تَحَوَّلَ إِلَى سَكَنٍ لِلطُّلَّابِ.

2- مَكْتَبَةٍ كَبِيرَةٍ لِلرِّجَالِ، وَفِيهَا قِسْمٌ لِآلَاتِ الطِّبَاعَةِ، وَمَكْتَبَةٍ لِلنِّسَاءِ، وَهِيَ الَّتِي يَبْحَثُ فِيهَا الشَّيْخُ أَوْقَاتَ الْفَرَاغِ حَالَ خُلُوِّهَا مِنَ النِّسَاءِ الْأَجَانِبِ.

3- سَكَنَيْنِ أَرْضِيَيْنِ (بَدْرُومَيْنِ).

4- غُرْفَةٍ فَسِيحَةٍ لِاسْتِقْبَالِ الضُّيُوفِ.

5- مَطْبَخٍ كَبِيرٍ، وَفُرْنٍ عَالٍ، وَمَخْزَنٍ لِاحْتِيَاجَاتِ الْمَطْبَخِ، وَمُوَلِّدٍ كَهْرَبَائِيٍّ بِقُوَّةِ (40 كَمْ)، وَمَشْرُوعٍ مَائِيٍّ.

6- يُحِيطُ بِالْمَرْكَزِ بَقَالَاتٌ وَبُوفِيَاتٌ.

وَالْمَسَاكِنُ الْعَامَّةُ مُمْتَلِئَةٌ بِسَاكِنِيهَا أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ، وَالْخَاصَّةُ عَلَى قِسْمَيْنِ:

أ- قِسْمٍ مُخْتَصٍّ بِالْأَعْزَابِ، وَتَتَكَوَّنُ مَسَاكِنُهُمْ مِنْ غُرْفَةٍ وَحَمَّامٍ غَالِبًا، بِتَكْلُفَةٍ تَتَرَاوَحُ بَيْنَ مِائَةٍ إِلَى مِائَتَيْ دُولَارٍ، وَقَدْ عُدَّتْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ مَا يَزِيدُ عَنْ (220) غُرْفَةً، وَغُرَفُهُمْ مُنْفَصِلَةٌ تَمَامَ الِانْفِصَالِ عَنْ مَسَاكِنِ الْمُتَزَوِّجِينَ.

ب- قِسْمٌ مُخْتَصٌّ بِالْمُتَزَوِّجِينَ (أَصْحَابِ الْعَوَائِلِ)، وَأَغْلَبُ مَا بُنِيَتْ فِي مَوْضِعَيْنِ، وَفِي غَيْرِهِمَا قَلِيلٌ.

◆ **الْمَوْضِعُ الْأَوَّلُ:**

مَزْرَعَةٌ لِلشَّيْخِ، وَفِيهَا بُنِيَ أَكْثَرُ بُيُوتِ الْمُتَزَوِّجِينَ، وَمِنْهَا مَا هُوَ وَقْفٌ لِلدَّعْوَةِ، وَهُوَ قَلِيلٌ، وَتَزِيدُ فِيهَا الْبُيُوتُ عَنْ خَمْسِمِائَةِ بَيْتٍ، وَهِيَ ـ الْآنَ ـ أَشْبَهُ بِالْمَدِينَةِ (مَدِينَةٍ سَلَفِيَّةٍ)، وَفِيهَا مَسْجِدٌ لِلرِّجَالِ، وَمَسْجِدٌ لِلنِّسَاءِ، وَتَبْعُدُ عَنِ الْمَرْكَزِ حَوَالَيْ (10) دَقَائِقَ مشْيًا على الْأَقْدَامِ.

◆ **الْمَوْضِعُ الثَّانِي:**

حَارَةُ الْمَكْتَبَةِ، وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَرْكَزِ، وَتَزِيدُ فِيهَا الْبُيُوتُ عَنْ (180) بَيْتًا، وَالْمَسَاكِنُ مُتَوَاضِعَةٌ مِنَ اللَّبِنِ الْمُجَفَّفِ، يَقُومُ بِطَبْعِهِ وَبِنَائِهِ الطُّلَّابُ أَنْفُسُهُمْ، وَيُعِينُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: بُنِيَتِ الْمَزْرَعَةُ بِـ(جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا)[1].

وَدَارُ الْحَدِيثِ كَمَا قِيلَ عَنْهَا[2]: قَلْعَةٌ شَامِخَةٌ عَظِيمَةٌ، أُسِّسَتْ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا، وَلَهَا تَفْرِيعَاتٌ تَجْرِي نَحْوًا مِنْ جَرَيَانِهَا، فِي فَلَكِ الِالْتِزَامِ، وَمُحِيطِ الِاسْتِقَامَةِ، وَقِيلَ: لَوْ أَنَّ الْمُؤَرِّخِينَ أَدْرَكُوا هَذِهِ الدَّارَ لَأَرَّخُوا عَنْهَا، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْكَتَاتِيبِ وَالْمَدَارِسِ كَانَتْ تَرْتَبِطُ بِمَذْهَبٍ مِنَ الْمَذَاهِبِ، وَتَنْتَصِرُ لَهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ، وَيَتَعَاقَبُ عَلَيْهَا أَئِمَّةُ الْمَذْهَبِ، إِنْ هَذَا الْمَرْكَزَ الْعَظِيمَ ـ الَّذِي اضْطَلَعَ بِمَا اسْتَنْهَضَ، وَاسْتَقَلَّ بِمَا حَمَلَ ـ مَصْنَعٌ لِلْأَبْطَالِ، وَعَرِينٌ[3] لِلْأَشْبَالِ[4]، بَلْ هُوَ ـ عِنْدَ الْإِنْصَافِ ـ جَوْهَرَةٌ ثَمِينَةٌ، وَدُرَّةٌ يَتِيمَةٌ، لَقَدْ شَاءَ اللهُ أَنْ تَشْهَدَ الْيَمَنُ

---

(1) انظر المرجع السابق (192، 193) بتصرُّف يسيرٍ.

(2) انظر «الإبهاج» (ص191) بتصرُّف يسيرٍ.

(3) عَرين ـ بزِنَةِ أَمِيرٍ ـ: مَأْوَى الأَسَد، والجمع عُرُنٌ.

(4) الأشبال: جمع شِبْلٍ ـ بالكسر ـ، وهو وَلَدُ الأَسَدِ إِذَا أَدْرَكَ الصَّيْدَ، ويُجْمَعُ ـ أيضا ـ على أَشْبُلٍ، وشُبُولٍ، وشِبَالٍ.

- بَلْ الْحَيَاةُ - مُرَكَزًا شَامِخًا عِطِرَ الوجْوْدَ بِمَوَاقِفِهِ الْحَيَّةِ، وَعَمَلِهِ الدَّءُوبِ، وَتَحَرُّكُهُ الْحُرِّ.

فَلَيْسَتْ هَذِهِ الدَّارُ دَيْرًا[1] لِلتَّأَلُّهِ، وَلَا صَوْمَعَةً لِلرَّهْبَنَةِ، كَمَا يُصَوِّرُهُ الْحَرَكِيُّونَ السِّيَاسِيُّونَ، وَلَا كَهْفًا فَرُّوا إِلَيْهِ مِنْ مَسْئُولِيَّاتِ وَمَزَاحِمِ الْحَيَاةِ، كَمَا يُصَوِّرُهُ أَعْدَاؤُهُ وشَانِئُوهُ[2].

بَلْ هُوَ مَرْكَزٌ يَتَفَجَّرُ الْحَقُّ مِنْ جَوَانِبِهِ، وَيَتَلَأْلَأُ النُورَ بَيْنَ أَرْكَانِهِ وَزَوَايَاهُ، يَسْمُو عُلُوًّا، وَيَتَفَوَّقُ اقْتِدَارًا، وَيَتَقَدَّمُ نَجَاحًا، وَيَتَفَجَّرُ عِلْمًا، وَيَتَأَلَّقُ حِكْمَةً، وَيَشِعُّ نَضَارَةً، فَقَدْ تَخَرَّجَ مِنْهُ رَعِيلٌ صَهَرَهُ الْعِلْمُ، وَصَقَلَتْهُ الدَّعْوَةُ، وَهَذَّبَتْهُ الِاسْتِقَامَةُ، وَعَانَقَ السُّنَّةَ رَغَبًا لَا رَهَبًا.

وَمِنْ مُمَيِّزَاتِ الْمَرَاكِزِ الْعِلْمِيَّةِ - وَهَذَا مَا تَفْقِدُهُ الْجَامِعَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ - أَنَّ جَوَّهَا دَعَوِيٌّ بِالْإِضَافَةِ إِلَى بَرَكَةِ الْمَسْجِدِ.



(1) الدَّيْر - بالفتح -: خانُ النَّصارى، والجمع أديارٌ.

(2) شانِئُوهُ: مُبْغِضُوه.

الْمَنْهَجُ الْمُقَرَّرُ فِي دَارِ الْحَدِيثِ بِدَمَّاج

لَقَدْ حَرَصَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى تَدْرِيسِ كُتُبِ السُّنَّةِ فِي مَرْكَزِهِ، وَقَدْ وَفَّقَهُ اللهُ لِاخْتِيَارِ مَنْهَجٍ عِلْمِيٍّ مُبَارَكٍ(1)، وَيَنْقَسِمُ إِلَى الْمُسْتَوَيَاتِ الْآتِيَةِ:

♦ الْمُسْتَوَى الْأَوَّلُ:

1- تَدْرِيسُ الْخَطِّ، وَتَعْلِيمُ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ وَالْإِمْلَاءِ، وَيُدَرَّسُ فِي هَذَا الْمُسْتَوَى كُتُبٌ مُتَعَدِّدَةٌ: (قَوَاعِدُ الْإِمْلَاءِ، كِتَابُ الْمُفْرَدِ الْعَلَمِ فِي رَسْمِ الْقَلَمِ، الْقَاعِدَةُ الْبَغْدَادِيَّةُ، وَكِتَابُ قَاعِدَةٍ فِي تَعْلِيمِ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ).

2- «فَنُّ التَّجْوِيدِ، وَتُحْفَةُ الْأَطْفَالِ»، مَعَ تَلْقِينِ الْقُرْآنِ وَتَحْفِيظِهِ.

3- «الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ» لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَيَتِمُّ تَحْفِيظُهَا لِلصِّغَارِ.

4- «الْقَوْلُ الْمُفِيدُ فِي أَدِلَّةِ التَّوْحِيدِ» لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْوِصَابِيِّ حفظه الله، وَهَذَا الْكِتَابُ يَحْفَظُهُ الطُّلَّابُ.

5- «كَشْفُ الشُّبُهَاتِ» لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

6- «تَطْهِيرُ الِاعْتِقَادِ» لِابْنِ الْأَمِيرِ الصَّنْعَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(1) انظر «الإمامُ الألمعيُّ مُقْبِلُ بْنُ هَادِي الوَادِعِيُّ» رَحِمَهُ اللَّهُ تأليف أحمدَ العدينيِّ، وقَدْ نَقَلْتُ منه المَنْهجَ المُقَرَّرَ؛ لِكَوْنِهِ قَدْ كَتَبَ ذلك في حياةِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ عرضَ عَلَيْهِ الكتابَ، وقَدْ قَدَّمَ لَهُ بِمُقَدِّمَةٍ طَيِّبَةٍ.

7- «الْبَيْقُونِيَّةُ فِي عِلْمِ الْمُصْطَلَحِ».

8- «صِفَةُ صَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ» لِلأَلْبَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

9- «نَوَاقِضُ الإِسْلَامِ» لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

10- «التُّحْفَةُ السَّنِيَّةُ بِشَرْحِ الْمُقَدِّمَةِ الآجُرُومِيَّةِ» لِمُحَمَّدٍ مُحْيِي الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

♦ الْمُسْتَوَى الثَّانِيَ:

أ- عُلُومُ الْقُرْآنِ:

1- «الْجَزَرِيَّةِ».

2- «أُصُولُ التَّفْسِيرِ» لِلشَّيْخِ ابْنِ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

ب- الْعَقِيدَةُ:

1- «لُمْعَةُ الاعْتِقَادِ» بِشَرْحِ الشَّيْخِ ابْنِ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

2- كِتَابُ «التَّوْحِيدِ» لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

3- «الْوَاسِطِيَّةُ» بِشَرْحِ الْهَرَّاسِ وَابْنِ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ وَشُرُوحِ بَعْضِ الطُّلَّابِ فِي الدَّارِ.

ج- عُلُومُ الْحَدِيثِ:

1- «مُخْتَصَرُ عُلُومِ الْحَدِيثِ» لِلْحَافِظِ ابْنِ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مَعَ تَعْلِيقِ أَحْمَدَ شَاكِرٍ -رَحِمَهُمَا اللهُ-.

2- «نُزْهَةُ النَّظَرِ» لِلْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

د- أُصُولُ الْفِقْهِ:

1- «الأُصُولُ مِنْ عِلْمِ الأُصُولِ» لِلشَّيْخِ ابْنِ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

2- «الْوَرَقَاتُ» لِلْإِمَامِ الْجُوَيْنِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هـ- الْفِقْهُ:

1- «عُمْدَةُ الْأَحْكَامِ» وَشَرْحُهُ.

2- «الرَّائِدُ فِي عِلْمِ الْفَرَائِضِ».

3- «الْقَلَائِدُ الْبُرْهَانِيَّةُ فِي الْفَرَائِضِ» لِلْبُرْهَانِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

4- «الرَّحْبِيَّةُ».

5- «تَعْلِيمُ الْحِسَابِ».

و- اللُّغَةُ:

1- «مُتَمِّمَةُ الْآجُرُومِيَّةِ».

2- «مُلْحَةُ الْإِعْرَابِ».

3- «شَذَا الْعَرْفِ فِي فَنِّ الصَّرْفِ».

4- «قَوَاعِدُ الْإِعْرَابِ» لِابْنِ هِشَامٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مَعَ شَرْحِهَا.

♦ الْمُسْتَوَى الثَّالِثُ:

أ- عُلُومُ الْقُرْآنِ:

1- «مُقَدِّمَةٌ فِي أُصُولِ التَّفْسِيرِ» لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

2- «الْقَوَاعِدُ الْحِسَانُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» لِابْنِ سَعْدِيٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ب- الْعَقِيدَةُ:

1- «الْقَوَاعِدُ الْمُثْلَى فِي صِفَاتِ اللهِ وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى» لِلشَّيْخِ ابْنِ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

2- «السُّنَّةُ» لِلْبَرْبَهَارِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

3- «فَتْحُ الْمَجِيدِ شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

4- «التَّدْمُرِيَّةُ» لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

5- «الْحَمَوِيَّةُ» لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

6- «شَرْحُ الطَّحَاوِيَّةِ» لِابْنِ أَبِي الْعِزِّ الْحَنَفِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

7- «خَلْقُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ» لِلْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

8- «السُّنَّةُ» لِإبْنِ أَبِي عَاصِمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

جـ- أُصُولُ الْفِقْهِ:

1- «الْمُذَكِّرَةُ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ» للشِّنْقِيطِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

2- «الْقَوَاعِدُ الْفِقْهِيَّةُ» لِإبْنِ سَعْدِيٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

د- الْفِقْهُ:

1- «الدَّرَارِي الْمُضِيئَةِ» لِلشَّوْكَانِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

2- «نِيلُ الْأَوْطَارِ» لِلشَّوْكَانِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

3- «سُبُلُ السَّلامِ» لِإبْنِ الْأَمِيرِ الصَّنْعَانِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هـ- عُلُومُ الْحَدِيثِ:

1- «النُّكَتُ عَلَى مُقَدِّمَةِ ابْنِ الصَّلَاحِ» لِلْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

2- «شَرْحُ عِلَلِ التِّرْمِذِيِّ» لِابْنِ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

3- «فَتْحُ الْمُغِيثِ» لِلسَّخَاوِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

4- «التَّقْيِيدُ وَالْإِيضَاحُ» لِلْعِرَاقِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

5- «تَدْرِيبُ الرَّاوِي» لِلسُّيُوطِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

6- «الضَّوابِطُ فِي الجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ» لِعَبْدِ الْعَزِيزِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّطِيفِ ـ حَفِظَهُ اللهُ ـ.

و- اللُّغَةِ:

1- «شَرْحُ ابْنُ عَقِيلٍ».

2، 3، 4- «قَطْرُ النَّدَى»، وَ«مُغْنِي اللَّبِيبِ»، وَ«لامِيَّةُ الأَفْعَالِ» لِابْنِ هِشَامٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

5- «الْبَلاغَةُ» لِحِفْنِي نَاصِفٍ ـ مُحَمَّدٍ دِيَابٍ ـ مُصْطَفَى طَمُومٍ ـ سُلْطَانٍ مُحَمَّدٍ.

♦ كُتُبٌ تُدَرَّس دُرُوسًا عَامَّةً، تُعادُ كُلَّمَا انْتَهَى تَدْرِيسُهَا

أ- التَّفْسِيرُ:

1- «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ».

2- «الصَّحِيحُ الْمُسْنَدُ مِنْ أَسْبَابِ النُّزُولِ» لِلشَّيْخِ مُقْبِلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

ب- الْعَقِيدَةُ:

1- «السُّنَّةُ» لِعَبْدِ اللهِ بْنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

2- «الْجَامِعُ الصَّحِيحُ فِي الْقَدَرِ» لِلشَّيْخِ مُقْبِلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

3- «الشَّفَاعَةُ» لِلشَّيْخِ مُقْبِلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

4- «الصَّحِيحُ الْمُسْنَدُ مِنْ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» لِلشَّيْخِ مُقْبِلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

ج- الْحَدِيثُ:

1- «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ».

2- «صَحِيحُ مُسْلِمٍ».

3- «الصَّحِيحُ الْمُسْنَدُ مِمَّا لَيْسَ فِي الصَّحِيحَيْنِ» لِلشَّيْخ مُقْبِلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

4- «الْجَامِعُ الصَّحِيحُ مِمَّا لَيْسَ فِي الصَّحِيحَيْنِ» لِلشَّيْخِ مُقْبِلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

5- «ذَمُّ الْمَسْأَلَةِ» لِلشَّيْخِ مُقْبِلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

6- «غَارَةُ الْفِصَلِ عَلَى الْمُعْتَدِينَ عَلَى كُتُبِ الْعِلَلِ» لِلشَّيْخِ مُقْبِلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

7- «الْمُسْتَدْرَكُ» لِلحَاكِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

مَرَضُهُ وَوَفَاتُهُ

كَانَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُعَانِي مِنْ مَرَضِ الْكَبِدِ، اسْتَمَرَّ مَعَهُ بِضْعَ سَنَوَاتٍ، فَبَعْدَ أَنْ أَلْقَى عَلَى طُلَّابِهِ دَرْسَهُ الْأَخِيرَ بَيْنَ مَغْرِبٍ وَعِشَاءٍ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِهِ وَهُوَ يُعَانِي مِنَ التَّعَبِ، وَمَا أَصْبَحَ الطُّلَّابُ إِلَا وَالشَّيْخُ يَرْقُدُ فِي مُسْتَشْفَى الثَّوْرَةِ، ثُمَّ نُقِلَ ـ بَعْدَ ذَلِكَ ـ إِلَى السُّعُودِيَّةِ، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى أَمْرِيكَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ، وَمِنْهَا إِلَى أَلْمَانْيَا، وَفِي أَلْمَانْيَا قَرَّرَ الطَّبِيبُ أَنْ حَالَةَ الشَّيْخِ خَطِيرَةٌ، وَأَشَارَ عَلَى رِفَاقِ الشَّيْخِ أَنْ يُعَجِّلُوا بِسَفَرِهِ إِلَى بَلَدِهِ.

بَلْ جَاءَ الطَّبِيبُ وَتَكَلَّمَ مَعَ الشَّيْخِ عَنْ طَرِيقِ الْمُتَرْجِمِ، فَعَرَفَ الشَّيْخُ الْخَبَرَ فَاسْتَرْجَعَ، ثُمَّ أَخَذَ الْقَلَمَ وَكَتَبَ وَصِيَّتَهُ وَلَمْ يَعِشْ بَعْدَهَا إِلَا عَشَرَةُ أَيَّامٍ، ثُمَّ عَادَ إِلَى السُّعُودِيَّةِ، فَتُوُفِّيَ فِي جِدَّةِ، يَوْمَ السَّبْتِ (30) رَبِيعٍ الثَّانِي (1422) هـ، وَدُفِنَ فِي مَقْبَرَةِ الْعَدْلِ بِمَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ، بِجِوَارِ الشَّيْخَيْنِ ابْنِ بَازٍ وَابْنِ عُثَيْمِينَ ـ رَحِمَ اللهُ الْجَمِيعَ ـ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُرَدِّدُ حَدِيثَ أَبِي عَزَّةَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ قَبْضَ عَبْدٍ بِأَرْضٍ جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً».

وَبِرَحِيلِهِ رَحَلَ عَنَّا عِلْمٌ كَثِيرٌ، وَخَيْرٌ وَفِيرٌ.

وَلَمَّا نَعَى [1] النَّاعِي الْمُحَدِّثَ مُقْبِلًا ○●○ بَقِيَّةَ أَسْلَافِ النُّهَى مِنْ أُولِي الْأَمْرِ

تَغَيَّرَ وَجْهُ الدَّارِ، وَاسْوَدَّ نُورُهَا ○●○ وَأَصْبَحَ بَطْنُ الْأَرْضِ خَيْرًا مِنَ الظَّهْرِ

وَقَدْ كَانَ لِلْإِسْلَامِ رُكْنًا، وَلِلدُّنَا ○●○ أَمْنًا وَلِلْعَافِينَ كَهْفًا مِنَ الْفَقْرِ

قَضَى عُمْرَهُ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ، لَمْ يَزَلْ ○●○ وَفِيًّا لَهُ، حَتَّى دَنَتْ سَاعَةُ الصِّفْرِ

(1) النَّعْي: الإخبار بالموت، وبابُهُ سَعَى، ونَعِيًّا ـ أيضًا ـ، ونُعْيَانًا ـ بالضَّمِّ ـ.

وَلَمْ يَـدَّخِرْ وُسْعًا وَجَاهًـا وَمَنْـصِبًا ○●○ لِنَشْرِ الْهُدَى وَالْعِلْمِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

عَـزَاءً إِلَى هَمْـدَانَ فِي رَمْـزِ فَخْرِهَـا ○●○ وَوَادِعَـةَ فِي فَـذِّهَا الرَّاسِـخِ الْحَبْرِ

وَلِلْيَمَنِ الْمَحْزُونِ فِي الشَّيْخِ مُقْبِلِ ○●○ وَأَوْحَـدِهُ فِي ذَا الزَّمَـانِ بِـلَا نُكْـرِ

وَلِلـصَّحْبِ وَالْأَتْبَـاعِ فِي كُـلِّ بَلْـدَةٍ ○●○ لَهَا مِنْ عُلُومِ الشَّيْخِ حَظٌّ مِنَ الْبَذْرِ

فَيَا رَبِّ، وَارْحَمْ ذَلِكَ الْعَبْدَ رَحْمَةً ○●○ وَأَسْـكِنْهُ فِي دَارِ الْكَرَامَـةِ وَالْأَجْـرِ

وَصُنْ وَجْهَهُ عَنْ رُؤْيَةِ النَّارِ وَالْأَذَى ○●○ وَنَـوِّرْ لَـهُ ـ يَا رَبِّ ـ فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ

وَطَهِّـرْهُ بَعْـدَ الـضُّرِّ مِـنْ كُـلِّ زَلَّـةٍ ○●○ وَأَلْحِقْهُ بِالصَّحْبِ الْكِرَامِ ذَوِي الطُّهْرِ

وَأَخْلِفْ بِـهِ الْإِسْـلَامَ خَيْرًا، فَإِنَّنَـا ○●○ مَدِينُونَ ـ يَا مَوْلَايَ ـ بِالْمَنِّ[1] وَالشُّكْرِ[2]

---

(1) الْمَنُّ: الإنعام، وبابُهُ رَدَّ.

(2) مِنْ قَصِيدَةٍ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ غَالِبٍ الْحِمْيَرِيِّ.

وَصِيَّتُه

الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ (آل عمران : 185).

وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ (النساء : 78).

وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ (آل عمران : 154).

وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (النحل : 61).

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي عَزَّةَ يَسَارٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ قَبْضَ عَبْدٍ بِأَرْضٍ جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً**».

هَذَا الْحَدِيثُ كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَقْرَؤُهُ عَلَى إِخْوَانِنَا فِي رِحْلَاتِنَا، فَإِنِّي لَا أَسْتَغْرِبُ أَنْ يَغْدِرَ الْأَعْدَاءُ، فَإِنَّ دَعْوَةً وَاجَهَتِ الْبَاطِلَ، مُتَوَقَّعٌ أَنْ يَغْدِرَ بِهَا أَصْحَابُ الْبَاطِلِ، وَلَعَلَّهُ قَدْ قَدَّرَ اللهُ أَنْ أَمُوتَ عَلَى فِرَاشِي، وَكُنْتُ أَرْغَبُ أَنْ يُخْتَمَ لِي بِالشَّهَادَةِ مَعَ الدَّعْوَةِ، وَالْحَمْدُ لِلهِ عَلَى مَا قَدَّرَ اللهُ، عَلَى أَنَّهُ قَدْ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ: إِنَّ الرَّادَّ

عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، بَلْ أَفْضَلَ مِنَ الْجِهَادِ، وَلَكِنْ أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَرْزُقَنِي الْإِخْلَاصَ فِيمَا بَقِيَ مِنَ الْعُمُرِ.

وَبَعْدَ هَذَا، فَأُوصِي أَقْرِبَائِي جَمِيعًا بِالصَّبْرِ وَالاحْتِسَابِ، وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَنْ يُضَيِّعَهُمْ، وَعَلَيْهِمْ بِمَا عَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّ سَلَمَةَ أَنْ تَقُولَ: «اللَّهُمَّ أَبْدِلْنِي زَوجًا خَيْرًا مِنْ أَبِي سَلَمَةَ» الْحَدِيث.

كَمَا أَنِّي أُوصِي الْأَقْرِبَاءَ ـ حَفِظَهُمُ اللهُ وَوَفَّقَهُمْ لِكُلِّ خَيْرٍ ـ بِأَخِينَا الشَّيْخِ أَحْمَدَ الْوِصَابِيِّ خَيْرًا، وَأَلَّا يُصَدِّقُوا فِيهِ، وَأُوصِيهِمْ بِالشَّيْخِ الْفَاضِلِ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ الْحَجُورِيِّ خَيْرًا، وَأَلَّا يَرْضَوْا بِنُزُولِهِ عَنِ الْكُرْسِيِّ، فَهُوَ نَاصِحٌ أَمِينٌ، وَكَذَا بِسَائِرِ الطُّلَّابِ الْحُرَّاسِ الْأَفَاضِلِ، وَبَقِيَّةِ الطُّلَّابِ الْغُرَبَاءِ، فَهُمْ صَابِرُونَ عَلَى أُمُورٍ شَدِيدَةٍ يَعْلَمُهَا اللهُ مِنْ أَجْلِ طَلَبِ الْعِلْمِ، فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِمْ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران : 159)، وَالْغَرِيبُ يَتَأَلَّمُ مِنْ أَيِّ كَلِمَةٍ لَا سِيَّمَا وَبَعْضُهُمْ أَتَى مِنْ بَلَدِهِ مُتَنَعِّمًا، فَارْفُقُوا بِهِمْ ـ حَفِظَكُمُ اللهُ ـ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَخْتَلِفُوا، وَدَعُوا الْأَمْرَ فِي مَسْأَلَةِ الطَّرْدِ لِأَحْمَدَ الْوِصَابِيِّ، وَالشَّيْخِ يَحْيَى، وَالْحُرَّاسِ.

وَأُوصِي قَبِيلَتِي وَادِعَةَ أَعَزَّهُمُ اللهُ بِطَاعَتِهِ أَنْ يُحَافِظُوا عَلَى دَارِ الْحَدِيثِ، فَإِنَّهُ يُعْتَبَرُ عِزًا، وَقَدْ قَامُوا بِنَصْرِ الدَّعْوَةِ فِي بَدْءِ أَمْرِهَا فَجَزَاهُمُ اللهُ خَيْرًا.

وَأُوصِي إِخْوَانِيَّ فِي اللهِ أَهْلَ السُّنَّةِ بِالْإِقْبَالِ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالصِّدْقِ مَعَ اللهِ وَالْإِخْلَاصِ، وَإِذَا نَزَلَتْ نَازِلَةٌ اجْتَمَعَ لَهَا أُولُو الْحَلِّ وَالْعَقْدِ: كَالشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ، وَالشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ الْمَأْرِبِيِّ[1]، وَالشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْإِمَامِ، وَالشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ

---

(1) عِلْمًا بِأَنَّ أَبَا الْحَسَنِ اخْتَلَفَ مَعَ إِخْوَانِهِ الْمَذْكُورِينَ فِي الْوَصِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمَشَايِخِ وَطُلَّابِ الْعِلْمِ مِنْ طَلَبَةِ الشَّيْخِ الَّذِينَ مَاتَ الشَّيْخُ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، وَلَيْسَ هَذَا مَقَامُ بَسْطِ هَذَا الْمَوْضُوعِ، بِقَدْرِ مَا هُوَ إِثْبَاتٌ لِوَصِيَّةِ الشَّيْخِ كَمَا جَاءَتْ وَكَمَا تَقْتَضِيهِ أَمَانَةُ النَّقْلِ. (الْمُرَاجِع)

الْبُرعِي، وَالشَّيْخ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُثْمَانَ، وَالشَّيْخ يَحْيَى الْحَجُورِي، وَالشَّيْخ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَدَنِيِّ، وَأَنْصَحُهُمْ أَنَّ يَسْتَشِيرُوا فِي قَضَايَاهُمُ الشَّيْخ الْفَاضِلَ الْوَاعِظَ الْحَكِيم مُحَمَّدًا الصَّوْمَلِيَّ، فَإِنِّي كُنْتُ أَسْتَشِيرُهُ وَيُشِيرُ عَلَيَّ بِالرَّشَدِ، وَأَطْلُبُ مِنْ جَمِيع مَنْ ذُكِرَ وَمِنْ سَائِرِ أَهْلِ السُّنَّةِ الْمُسَامَحَةَ، خُصُوصًا طَلَبَةَ الْعِلْم بِدَمَّاج، فَإِنِّي رُبَّمَا آثَرْتُ بَعْضَ الْمُجْتَهِدِينَ، وَلَكِنْ لَا عَنْ هَوىً، وَاعْلَمُوا - حَفِظَكُمُ اللهُ - أَنِي خَرَجْتُ إِلَى الْيَمَنِ لَا أَمْلِكُ شَيْئًا، فَعَلَى هَذَا فَالسَّيَارَاتِ وَمَكَائِنُ الْآبَارِ لِمَصْلَحَةِ طَلَبَةِ الْعِلْم تَحْتَ نَظَرِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ الْوِصَابِيِّ، وَالشَّيْخ يَحْيَى الْحَجُورِيِّ، وَالْإِخْوَةِ الْحُرَّاسِ، يَنْفُذُ أَمْرُهُمْ إِنْ لَمْ يَخْتَلِفُوا.

هَذَا وَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُثَبِّتَنَا وَإِيَّاكُمْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنْ يُعِيذَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

مُقْبِلُ بْنُ هَادِي الْوَادِعِيُّ

شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ

عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحِ بْنِ أَحْمَدَ الْوَادِعِيُّ

صَالِحُ بْنُ قَائِدٍ الْوَادِعِيُّ

أَبُو حَاتِمٍ الْفَاضِلِيُّ

وَهُنَا تَنْتَهِيَ الْوَصِيَّةُ، وَهِيَ - عَلَى وَجَازَتِهَا - تُغْنِيَ عَنِ أَيِّ تَعْلِيقٍ، فَمَا أَجْمَلَ أَنْ نَحْمِلَ الرَّايَةَ، وَنَسِيرَ عَلَى الدَّرْبِ، وَنَسْلُكَ النَّهْجَ!

يَا مَنْ يُبَاهِي بِحُبِّ الشَّيْخِ هَلْ جُمِعَتْ ○●○ قُـوَاكَ لِلـسَّيْرِ فِي مِنْهَـاجِ أَبْـرَارِ؟
وَهَــلْ تَعَلَّمْــتَ مِنْــهُ فِي تَأَلُّقِــهِ ○●○ عَـنْ حَمْأَةِ الـذَّنْبِ أَوْ لَوْثَـاتِ أَوْزَارِ؟
أَمْ أَنْتَ تَبْكِي كَمَا تَبْكِي الْعَجُوزُ بِلَا ○●○ بَـذْلٍ وَفَضْلٍ، وَتَحْيَا خَلْفَ أَسْوَارِ؟

بَعْضُ المَرَاثِي
الَّتِي قِيلَتْ فِي الشَّيْخِ

بُخَارِيُّ هَذَا العَصْرِ

شِعْر: عَبْدِ الكَرِيمِ العِمَادِ[1]

إِلَيْهِ كَمِ اشْتَاقَ الكِتَابُ المُنَزَّلُ ○●○ وَسُنَّةُ خَيْرِ الخَلْقِ تَشْجُو[2] وَتَسْأَلُ
أَمُقْبِلُ، قَدْ ضَاقَتْ بِنَا الأَرْضُ كُلُّهَا ○●○ وَمَا عَادَ فِي جَوِّ السَّمَوَاتِ مُنْزِلُ
ضَرَبْتَ بِسَيْفِ الحَقِّ هَامَاتِ بَاطِلٍ ○●○ فَأَلْقَيْتَهُ فِي الخِزْيِ وَهُوَ مُجَنْدَلُ
وَمَنْ جَعَلَ الإِيمَانَ يَوْمًا سِلَاحَهُ ○●○ فَشَانِئُهُ ـ مَهْمَا تَسَلَّحَ ـ أَعْزَلُ[3]
تَوَارَى جُثَامَى[4] الجَهَابِذِ[5] فِي الثَّرَى ○●○ وَآثَارُهُمْ فِي قِمَّةِ المَجْدِ تَرْفُلُ[6]
يَقُولُونَ: قَدْ أَدْبَرْتَ!، لَا وَالَّذِي بَرَى ○●○ فُؤَادَكَ عِلْمًا، إِنَّمَا أَنْتَ مُقْبِلُ
شُمُوسُكَ مَا زَالَتْ عَلَيْنَا سَوَاطِعًا ○●○ تُبِيدُ دُجَى الظَّلْمَاءِ وَاللَّيْلُ اللَّيْلُ
وَأَقْمَارُكَ الأَفْذَاذُ مَا زَالَ عَرْفُهُمْ ○●○ عَلَى دَرْبِكَ الوَضَّاءِ لَمْ يَتَحَلْحَلُوا
وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا عَلَى العِلْمِ عَاكِفٌ ○●○ وَفِي اللَّيْلِ إِلَّا سَاجِدٌ أَوْ مُرَتِّلُ
طَلَبْتَ زِمَامَ العِلْمِ حَتَّى مَلَكْتَهُ ○●○ فَصَارَ ضِيَاءً بَيْنَ جَنْبَيْكَ يَمْثُلُ

---

(1) هو أُستاذِي الكَريمُ، وواحدٌ من الَّذِين أخذتُ عنهم اللُّغَةَ والأَدَبَ، وَقَدِ اشتهر بـ عبده بن محمد العماد بسبب سقوط لفظ (الكريم) من رقم الجلوس في اختباراتِ الشهادةِ الثانوية، فخَضَعَ بعدها للوَاقِعِ، كان الناس ينادونه قبل ذلك بـ «عبده» اختصارًا كعادة أهل اليمن بسبب الجَهْل.

إذا لم يكن إلَّا الأسنة مَرْكبًا ○●○ فما حيلةُ المُضطرِّ إلَّا رُكُوبُها

(2) تشجو: تُحزِنُ، وبابُهُ عَدَا.

(3) الأَعْزَل: مَنْ لا سلاحَ معه، فهو يعتزِلُ الحَرْبَ، والجمع عُزْلٌ، وعُزْلانٌ، وعُزَّلٌ.

(4) جُثَامى: جمعٌ خاطيءٌ لجُثْمانٍ ـ بالضَمِّ، وهو الجِسْمُ.

(5) الجهابذ: جمع جِهْبِذٍ ـ بالكسر ـ، وهو النَّقَّاد الخبير.

(6) ترفل: تَجُرُّ أذيالها مُتَبَخْتِرَةً، وبابُهُ نَصَرَ، ورَفَلانًا ـ أيضًا ـ.

وَجَاوَزَتْ بَدْوًا فَاسْتَقَرَّتْ رِحالُهُمْ ••• بِوَاحَتِكَ الغَنَّاءِ[1] وَالْبَدْوُ رُحَّلُ

إِذَا مَا رَأَيْتَ العِلْمَ وَالجُودَ جُمِّعَا ••• بِقَلْبِ امْرِئٍ، فَهْوَ الفَرِيدُ المُكَمَّلُ

وَلَا بِدَعٌ إِلَّا اجْتَثَثْتَ جُذُورَهَا ••• وَصَاحِبُهَا تَحْتَ الحُطَامِ مُكَبَّلُ[2]

وَلَا مُشْرِكٌ بِاللهِ إِلَّا رَدَدْتَهُ ••• وَأَعْلَمْتَهُ بُطْلَانَ مَا كَانَ يَفْعَلُ

فَلَا تَسْأَلُونِي عَنْهُ، لِلهِ دَرُّهُ! ••• عَنِ النَّاسِ نَسْتَفْتِيهِ، لَا عَنْهُ نُسْأَلُ

لَهُ هِمَّةٌ لَمْ يَعْرِفِ الدَّهْرُ مِثْلَهَا ••• وَمَنْ رَامَ مَجْدًا هَانَ مَا كَانَ يَبْذُلُ

شُجَاعٌ، صَرِيحٌ، حَازِمٌ، مُتَوَدِّدٌ ••• رَءُوفٌ، رَحِيمٌ، فِي البَرَايَا مُبَجَّلُ

لَهُ نَظَرَاتٌ ثَاقِبَاتٌ مُنِيرَةٌ ••• يُلَاذُ بِهَا[3] إِنْ حَبَّ بِالنَّاسِ مُشْكِلُ

عَلَى الجَوِّ فَوْقَ البَحْرِ بَرًّا سَوَامِقًا ••• وَمِنْ كُلِّ فَجٍّ[4] نَحْوَهُ النَّاسُ تَرْحَلُ

وَمَا خُلِقَتْ كَفَّاهُ إِلَّا لِتُعْطِيَا ••• وَمَا قَالَ حُكْمًا ـ قَطُّ ـ إِلَّا وَيَعْدِلُ

وَمَا رَدَّهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ ••• يُجَرِّحُ فِي هَذَا، وَهَذَا يُعَدِّلُ

وَإِنْ لَمْ يَقُلْهَا الشَّيْخُ ظَلَّتْ حَبِيسَةً ••• وَعَنْ كَتْمِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ يُعْذَلُ

لَنَا عُلَمَاءُ بَارَكَ اللهُ فِيهِمُ ••• لَهُمْ فِي سَمَاءِ العِلْمِ مَجْدٌ مُؤَثَّلُ[5]

فَإِنْ عَاتَبُوا بَعْضًا فَلِلهِ دَرُّهُمْ ••• عَلَى صَبْرِهِمْ!، وَالحَقُّ بِالحَقِّ يُحْمَلُ

عَلَيْكَ اتِّبَاعَ الحَقِّ أَنَّى وَجَدْتَهُ ••• وَإِيَّاكَ وَالتَّقْلِيدَ إِنْ كُنْتَ تَجْهَلُ

---

(1) الغَنَّاء: الكثيرة الأَهْلِ والبُنْيَانِ.

(2) مُكَبَّل: مُقَيَّد.

(3) يُلاذ بها: يُلْجأ إليها، ويُعَاذُ بها، وبابُهُ قال، وَلِيَاذًا ـ أيضًا بالكسر ـ.

(4) الفَجُّ ـ بالفتح ـ: الطَّريق الواسع بَيْنَ جَبَلَيْنِ، والجمعُ فِجَاجٌ.

(5) مُؤَثَّل: مُؤَصَّل.

لَـهُ اللهُ، كَـمْ أَثْنَـى عَلَيْـهِ مَـشَائِخٌ ○●○ وَمَـا بَلَغُـوا مِـنْ قَـدْرِهِ مَـا يُؤَمَّـلُ
يُـذَكِّرُنِي عَهْـدَ الـصَّحَابَةِ عَهْـدُهُ ○●○ وَأَخْلَاقُـهُ أَخْلَاقَهُـمْ تَتَمَثَّـلُ
أُتِيحَـتْ لَـهُ الـدُّنْيَا بِكُـلِّ بَهَائِهَـا ○●○ فَقَـالَ لَهَـا: الأُخْرَى أَجَلُّ وأَفْـضَلُ
بَكَاهُ الثَّرَى فَاسْتَنْزَفَ الأَرْضَ دَمْعُهُ ○●○ وَلَوْلَا بُكَاءُ المُزْنِ[1] مَا كَانَ جَدْوَلُ[2]
كَـأَنَّ فُـؤَادِي جَمْـرَةٌ لَـوْ تَـسَاكَبَتْ ○●○ عَلَيْهَـا بِحَـارُ الأَرْضِ لَا تَتَبَلَّـلُ
عَلَيْـك يُرِيـقُ العِلْـمُ حِبْرًا دُمُوعَـهُ ○●○ فَلَيْسَ لَهَا - مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ - مَوْئِلُ[3]
بُخَـارِيُّ هَـذَا العَـصْرِ، إِنَّ بِمَوْتِـهِ ○●○ عَـنِ العِلْـمِ أَبْوَابُ الـسَّمَوَاتِ تُقْفَلُ



(1) المُزْن - بالضَّمِّ -: السَّحاب المُحمَّل بالماء، القِطْعَةُ مُزْنٌ.

(2) الجَدْوَل - بالفتح والكسر -: النهر الصَّغير.

(3) المَوْئل: المَلْجأ.

مُقْبِلُ السُّنَّةِ الغَرَّاءِ

شِعْرُ: الأخِ أبي أَحْمَدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ

يَا مَنْ رَأَى أُمَّةً فِي الشَّيْخِ مَاثِلَةً ○●○ وَمَنْ رَأَى عَالِمًا فِي بُرْدِ[1] خَيْرِ وَلِي
فِيهِ السَّمَاحَةُ فِيهِ الجُودُ مُنْشَرِحٌ ○●○ فِيهِ الوَفَاءُ وَصِدْقُ الصِّدْقِ فِي العَمَلِ
مَضَى إِلَى اللهِ أَوْزَاعِيُّ أُمَّتِنَا ○●○ بَلْ وَابْنُ حَنْبَلِهَا فِي رَائِعِ المُثُلِ
اليَوْمَ مَاتَ البُخَارِيُّ، فَانْثَنَى أَمَلِي ○●○ وَابْنُ المُبَارَكِ، بَلْ وَابْنُ المَدِينِي عَلِي
مَاتَ الَّذِي نَشَرَ التَّوْحِيدَ مُجْتَهِدًا ○●○ وَنَكَّسَ الشِّرْكَ فِي إِرْهَاصَةِ[2] الدَّجَلِ[3]
مَاتَ الَّذِي صَحَّحَ الآثَارَ أَرْسَلَهَا ○●○ فِي وَجْهِ كُلِّ دَخِيلٍ سَاقِطِ الحِيَلِ
الحُزْنُ عَمَّ بِقَاعَ الأَرْضِ، ثُمَّ مَضَى ○●○ لِلْمُشْتَرِي وَأَرَاهُ ـ اليَوْمَ ـ فِي زُحَلِ
إِنِّي وَدِدْتُ يَمِينِي لَوْ تُفَارِقُنِي ○●○ أَوْ أَنْ يُصَابَ بِهَا الإِحْسَاسُ بِالشَّلَلِ
مِنْ أَنْ أَخُطَّ عَزَاءً عَبْرَ قَافِيَتِي ○●○ أَوْ أَنْ أَخُطَّ رِثَاءً يَحْتَوِي جُمَلِي
لَكِنَّهُ قَدَرُ البَارِي وَحِكْمَتُهُ ○●○ وَإِنْ بَقَى النَّاسُ فَالدُّنْيَا إِلَى أَجَلِ
إِيهٍ[4] ـ أَيَا دَمَّاجُ ـ مَا حَالُ الأَحِبَّةِ فِي ○●○ تِلْكَ الدِّيَارِ وَفَقْدُ الشَّيْخِ صَارَ جَلِي
مَا حَالُ مَجْلِسِهِ؟ مَا حَالُ مَسْجِدِهِ؟ ○●○ مَا حَالُ أَصْدَائِهِ الوَلْهَى[5] عَلَى أَمَلِ؟
مَا حَالُ مَمْشَاهُ قَدْ أَنَّتْ جَوَانِبُهُ ○●○ وَقَدْ بَكَاهُ حَنِينُ الشَّوْقِ فِي زُحَلِ؟

---

(1) البُرْد ـ بالضَّمِّ ـ: كساء مُخَطَّطٌ يُلْتَحَفُ به، والجمعُ: أَبْرَادٌ، وأَبْرُدٌ، وبُرُودٌ.

(2) أرهص الشَّيْءَ: أوهاه وأضعفه.

(3) الدَّجَل: الباطل المُمَوَّه بالحقِّ.

(4) إيه ـ بكسر الهمزةِ والهاءِ وفَتْحِها، وتُنَوَّنُ المكسورةُ ـ: كلمةُ استزادةٍ واستنطاقٍ.

(5) الوَلْهَى: الشَّدِيدة الحُزْنِ والجَزَعِ.

فِي مُقْبِلِ الحِرْصُ تَشْمِيرٌ يُؤَزِّرُهُ[1] ○●○ قَلْبٌ مِنَ الجِدِّ لاْ قَلْبٌ مِنَ الكَسَلِ

فِي مُقْبِلِ السُّنَّةِ الغَرَّاءِ مَدْرَسَةٌ ○●○ دَارُ الحَدِيثِ دَعَا الحَقَّ فِي مَهَلِ

فِي مُقْبِلِ الخَيرِ دُنْيَا مَا ظَفِرَت بِهَا ○●○ إِلَّا لِيَبْقَى الوَفَاءُ لِلسَّيِّدِ البَطَلِ

اِمْضِي عَلَى نَهْجِهِ، عِيشِي مَوَاقِفَهُ ○●○ وَامْشِي عَلَى دَرْبِهِ ـ دَمَّاجُ ـ كَيْ تَصِلِي

(1) يُؤَزِّرُهُ: يُقَوِّيهِ.

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

ذُرِّيَّتُهُ

نِسَاؤُهُ

طَلَبُهُ لِلْعِلْمِ

مَشَايِخُهُ

ثَنَاءُ العُلَمَاءِ عَلَيْهِ

بَعْضُ القَصَائِدِ فِي الثَّنَاءِ عَلَى الشَّيْخِ وَدَعْوَتِهِ

طُلَّابُهُ

مُؤَلَّفَاتِهِ

دَارُ الْحَدِيثِ

مَرَضُهُ وَوَفَاتُهُ

بَعْضُ الْمَرَاثِي الَّتِي قِيلَتْ فِي الشَّيْخِ